www.awu.sy

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد «1343» 4/5/ 2013 م - 24جمادى الآخرة1434هـ
السنة السابعة والعشرون

٢٤ صفحة - السعر: ١٥ ل.س

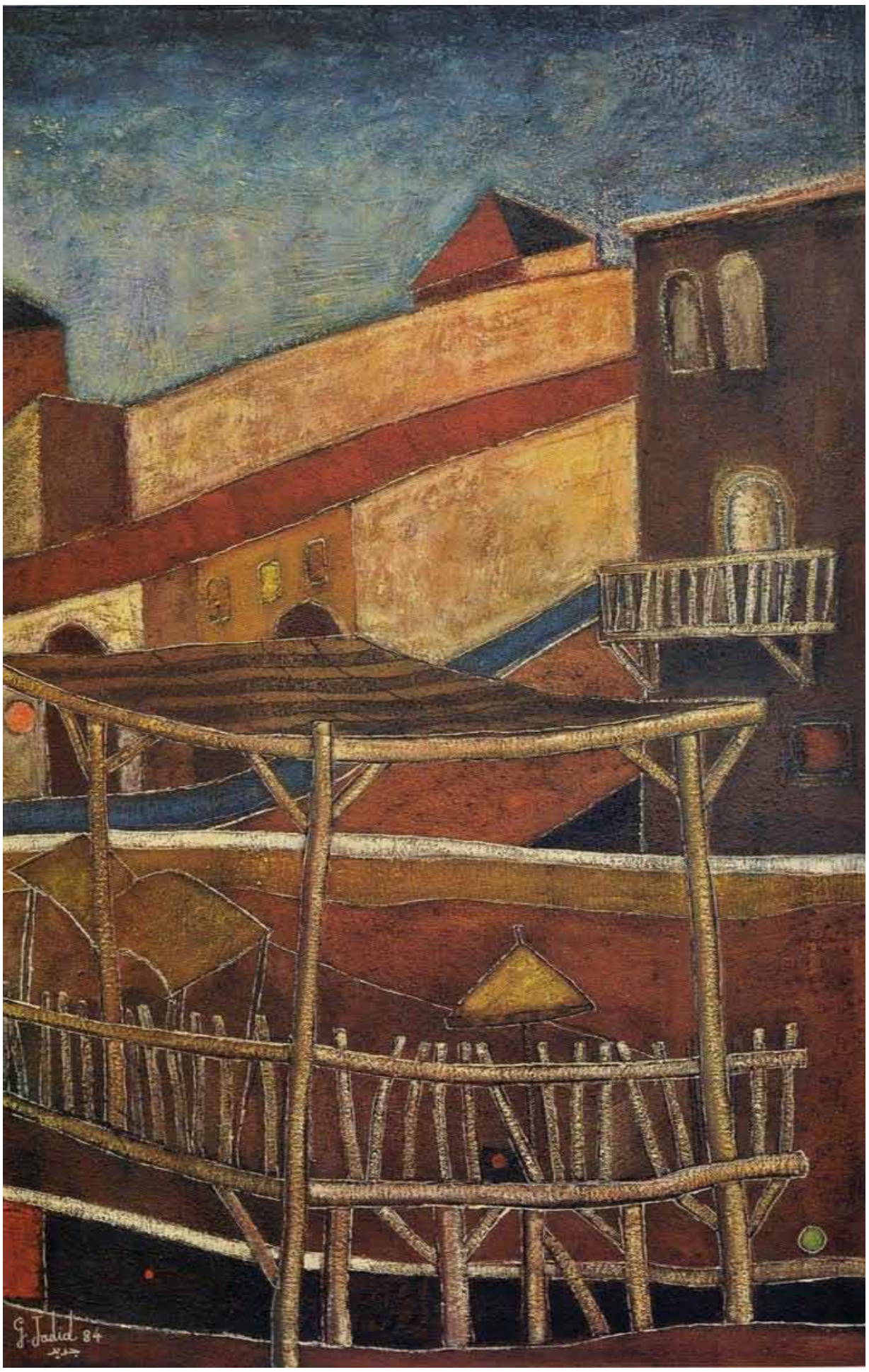

لوحة للفنان التشكيلي غسان جديد

كتبنا المتوسدة جهة القلب

ثقافة غريبة عن تربتها

هوية المكان في الأدب

ثقافة الحوار أهميتها ودورها

شيخ الجهاد.. صالح العلي

كأنك ضجرت من الخريف!!

صليل الدروب ...

قيد انتظار

المرار.. حكمة الحجر

الأقوال والأفعال
عن الاسكندر المكدوني...

فرح مازوني

يقول بعض المؤرخين إن الاسكندر الثالث المقدوني كان أول رجل فكّر في الإخاء بين بني البشر، وهو من أجل ذلك جدير بأن يكون اسمه الخالد: الاسكندر الأكبر.

ويكيل المؤرخون الغربيون المديح له جذافاً وبكل مكيال؛ بالجملة والمفرق، ويتابعهم لسوء الحظ في هذا المديح كثيرون من المؤرخين العرب والمسلمين... ولكن إليكم بعض أفعاله:

كانت دويلات المدن اليونانية تتمسك بحرياتها، فأسرع إليها واحتلها، وارتعبت دويلات هذه المدن فخضعت لحكمه.. ولما قام أحرارها يدعون إلى مقاومة الحكم الأجنبي، أسرع إليها، وأثار الخلافات بين حكامها، وأمر بأن تحرق مدينة طيبة عن آخرها، وأن يباع أهلها أرقاء... ولكنه... ولأنه مثقف وتلميذ أرسطو النجيب، ويحب شعر شاعرها بندار، اشترط ألا يمس جنوده الظافرون بيت الشاعر بسوء(!).

ثم أنشأ في المدن اليونانية الخاضعة حكومات (ديمقراطية) تحت حمايته(!).

تخيّلوا هذه الديمقراطية التي يقيمها (محتل) في بلد غير بلده!!!

وبعد أن استولى على دمشق وصيدا من غير قتال، حاصر صور.. وقاومته المدينة مقاومة باسلة أثارت غضب جلالته (كانت صور المنافسة الكبيرة لسيطرة الإغريق على البحر المتوسط).. ولما استولى على المدينة ركب رأسه، كما يقول المؤرخون، وترك رجاله يذبحون ثمانية آلاف محارب من رجالها، وباع ثمانين ألفاً من سكانها بيع الرقيق(!).

ثم قاومته غزة مدافعة عن كرامتها، فأمر بذبح كل رجل من رجالها، وأمر بسبي كل امرأة من نسائها(!)

ولما احتل برسوبوليس نهب كنوزها الملكية، فأحرق المدينة العظيمة، ودكها دكاً، وترك جنوده يسبون النساء ويقتلون الرجال.

«ولم يكتفِ الاسكندر ـ بمن ناله من مجد.... فلما دخل صغديانا أمر بأن يقتل جميع أهلها بمن فيهم النساء والأطفال»، هكذا يقول عنه أحد المؤرخين...

ما رأيكم بتاريخ هذا (الفاتح) العظيم الذي فكر بالإخاء بين بني البشر؟!!

2 ـ عن يوليوس قيصر...

«لخص المؤرخ بلوتارك /45 ـ 125؟ م/». أعمال يوليوس قيصر الحربية بقوله: «مع أن قيصر لم يتم في حروبه عشر سنوات كاملة؛ إلا أنه فتح أكثر من /800/ مدينة وأخضع /300/ شعب، وحارب في معارك منظمة في أوقات مختلفة مع ثلاثة ملايين من الرجال، ذبح منهم مليوناً في حرب بالسلاح الأبيض، وأسر مليوناً آخرين.. (باعهم بيع الرقيق)...».

يقول عنه بعض المؤرخين إنه كان أحد (الأبطال) البارزين في كل العصور القديمة!!!!

ما رأيكم بهذا البطل الذي حزن بعض المؤرخين (لفاجعة) مقتله /44 ق.م/ على يد محبي الحرية في روما؟! من غير أن تذرف من عيونهم المتفحصة دمعة واحدة على الملايين الذين ذبحهم أو استعبدهم، وجعلهم أرقاء لخدمة عظمته وعظمة روما...

3 ـ عن كريستوف كولومبوس...

يقول المؤرخون: لما رأى كريستوفر كولومبوس بَرّ العالم الجديد أول مرة يوم الجمعة 1492/10/12، خرّ على قدميه، وأخذ يذرف الدموع الغزيرة منشداً بحرارة أنشودة شكر دينيةٍ. كانت الجزيرة التي رآها هي جزيرة غواناهاني فغيَّر اسمها فوراً، وسماها جزيرة سان سالفادور ـ القديس ـ المنقذ.

أخذ بعدها يستكشف أرخبيل جزر البحر الكاريبي.. وأجبر سكان البلاد الأصليين، الذين دعوا هنوداً, على العمل بالسخرة لصالح (المكتشفين) ومات منهم الملايين.

يقول المؤرخون إن جزيرة سان دومنغو وحدها كان عدد سكانها أكثر من مليون إنسان... في عام /1509/ لم يتجاوز عدد الذين بقي منهم /40/ ألفاً وفي عام /1511/ بقي منهم /13/ ألفاً.

أما الآخرون فقد اختفوا نهائياً.. كيف؟ لكم أن تتخيلوا ما حدث على يد هؤلاء المستكشفين (الأبطال).. رواد الحضارة والمدنية كما يدعونهم...

.. إبادة السكان الأصليين من قبل المستكشف العظيم وإخوانه (الأبطال) سوف تؤدي إلى ولادة تجارة العبيد السود من أفريقيا... التي كان يقودها قباطنة سفن مليئون بالتقوى والإيمان...

حسب إحصائيات ديوان المحاسبة الإسباني فقد سرق (أبطال) الكشوف الجغرافية الإسبان بيزارو وكورتيز وآخرون خلال نصف قرن فقط /195/ ألف كغ من الذهب و /16/ مليون كغ من الفضة.

كولومبوس هذا ومثله بيزارو وكورتيز وآخرون، تغدق عليهم لدى المؤرخين الأوروبيين كل مظاهر التكريم إشادة ببطولاتهم....

إن الفظائع التي ارتكبها المكتشفون (الأبطال) كما كانوا يسمونهم، وناشرو أنوار المسيحية، أثارت راهباً مسيحياً حقاً هو بارتولوميو دولاس كازاس /1474 ـ 1566/ ودفعته للدفاع عن السكان الأصليين مطالباً بالتوقف عن إبادتهم... وكانت لديه الجرأة ليقول: إن البربرية جاءت من أوروبا.. إن ما فعلناه كان وصمة عار على المسيحية..

كتبنا المتوسدة جهة القلب

سوزان الصعبي

وأنا أرتب مكتبتي قبل أيام، عثرت على الكثير من الكتب التي كنت قد أهملتها لمدة طويلة أو نسيتها، تحت إلحاح كتب أخرى أكثر جدة، فتوارت تلك القديمة عن الأنظار صامتة عن بعض غبار رسا عندها مع مرور الزمن، لكن الحال تغير اليوم؛ إذ نظفت جميع أغلفة الكتب بالتساوي، حتى تلك التي أشعر أنها زائدة عن الحاجة لمغايرتها لاهتماماتي أو لاعتقادي بسويتها المنخفضة، فأعدت ترتيبها بما يتماشى ومزاجي الحالي، وبما يضمن لي أن ألتقط أكثرها جاذبية بسهولة، ووزعتها بين الأدراج حسب النوع الأدبي الذي تتبع له، إذ إن مكتبتي تضم في أغلبيتها كتباً أدبية، وهناك بعض الكتب الأخرى التي لا تفي بغرض إمتاعي، أو تزويدي بما أحتاج من ثقافة أدبية تلبي طموحي.

ضمن هذا التنظيم الممنهج لمكتبتي، وضعت جانباً تلك الكتب العزيزة التي أعود إليها بين حين وآخر، خاصة حين يستأثر الجفاف بي، على رأسها مؤلفات محمود درويش وغسان كنفاني وأحلام مستغانمي، ولابدَّ لي من بعض مؤلفات باولو كويلهو و(طيور الشوك) الثلاثية الرائعة لكولين مكلو، وأيضاً بعض أعمال الشاعرة الإيرانية فروغ فرخ زاد، وقصص تشيخوف.

إذاً كم من كتب غالية القيمة نحظى بها، لدرجة أننا نضعها قرب أسرّتنا أو في الصف الأمامي من المكتبة جهة القلب؟! بالتالي كم من كتب تأخذ حيزاً لها في المكتبة لا لفائدة ترجى منها؛ بل خجلاً من رميها في القمامة كأنها نفاية؟!

مكتبة نسيتها المؤسسة

تقوم إحدى صديقاتي بترتيب مكتبتها بين الفينة والأخرى، لا بغرض الترتيب؛ بل لترى كم عليها أن تتلف كتباً لا قيمة لها برأيها، ولا تتورع هذه القارئة عن تمزيق الكتب ورشها على الأرض، لكنها ليست مطراً والأرض لا تخصب.

هذه الصديقة عثرت مؤخراً، في مؤسسة تابعة للدولة تعمل فيها، على مكتبة تكوم فوقها الغبار، وما وجدت أحداً ينظفها أو يزيح عنها بعض أكوام النسيان، فظلت حبيسة غرفة يمر من أمامها الموظفون باتجاه مكاتبهم؛ ولا يفتحون باب غرفة تحتوي كنوزاً . بالطبع قامت صديقتي بالتسمر أمام المكتبة والعناوين المهمة التي لم يستطع الغبار أن يحجبها تماماً، وانتقت عدداً من الكتب لتشيخوف وزكريا تامر وممدوح عدوان، ونظفتها وحملتها إلى البيت من دون أن تستأذن أحداً من مسؤولي المؤسسة؛ فهي تعلم أن لا أحد يعنيه أمر اختفاء بعض الكتب، ما يشجع صديقتي على أن تعود إلى المكتبة بعد حين لأخذ كتب أخرى ستقرؤها، وتعير بعض الأصدقاء، طالما أن الجهة المسؤولة غير مسؤولة، وطالما أن قراء الكتب أصبحوا أكثر فقراً في هذه الأيام من أن يشتروا كتاباً جديداً.

للكتاب رحلته

في كتابه: (مثل نهر يجري) وتحت عنوان عن الكتب والمكتبات يقول باولو كويلهو(ما إن أنتهي من قراءة كتاب حتى أدعه يرحل إلى شخص آخر أو إلى المكتبة العامة؛ فليست غايتي هي أن أنقذ الغابات أو أن أبدو سخياً؛ بل ببساطة لإيماني بأن للكتاب رحلته الخاصة التي يجب أن يقوم بها، وألا يحكم عليه بالبقاء على أحد الرفوف. إذن فلندع كتبنا تسافر بحرية لتلامس أيادي أخرى وتستمتع بها عيون أخرى) . وفي هذه المقالة يتحدث باولو عن قراره بالتخلي عن كثير من الممتلكات ومنها الكتب، واستبقاء أربعمئة كتاب فقط في مكتبته، يشفع لها ذلك قيمتها الوجدانية عنده، أو حاجته إعادة قراءتها من حين لآخر، ودفعه لهذا القرار حزنه على مكتبات بيعت بعد موت أصحابها بلا أي تقدير لهم.

كنا مجموعة من الأصدقاء ندرس في الجامعة، حين سنحت لنا الفرصة بالخروج من الإطار التقليدي للتعلم الذي تفرضه المدارس، وأيضاً حين سنح لنا نضوجنا بالقدرة على التثقف وتبادل الكتب والآراء والخبرات، حينها وقعنا بالمصادفة على مكتبة عامة في منطقة شعبية، وعلى رفوفها آلاف الكتب بين أدبية وتاريخية وفلسفية ومختلف صنوف المعرفة، فصرنا نستعير الكتاب تلو الآخر بموجب بطاقة اشتراك، نقرؤها نحن الأصدقاء، ونعير الآخرين كتداول للثقافة والمتعة، ومع مرور السنين ظل تبادل الكتب عادة جميلة، حتى إن أحداً قد ينسى كتاباً عند صديقه طوال فترة بعيدة، أجبرتنا ظروفنا القاسية الحالية على تحملها، ونحن أسرى اغترابات وهجرات مكانية وزمانية، قد تستمر إن استمرت الحرب المصوبة نحونا، هذه التي تحيل أوقاتنا إلى فراغ وأرواحنا إلى رماد. وحدها التفاصيل الحميمة كأصوات أصدقاء بعيدين، وكتبهم الغالية تؤجل موتنا.

أذكر حين كنا في المرحلة الدراسية الثانوية، أن إحدى الغرف في الطابق الأرضي كانت مخصصة لإعارة الكتب، وأذكر أيضاً أن إحدانا لم تطرق هذا الباب؛ بل وإن الموظفة المشرفة على المكتبة، لم تكن تدعو إحدانا إلى الدخول إليها، طبعاً ولم تطلب إلينا إحدى المدرسات أن نزور المكتبة ولم تطالبنا بتدعيم ثقافتنا بقراءة كتاب معين، فظلت المكتبة غرفة منسية.

اليوم أضع كتبي نصب عيني، أخشى عليها من التلف أو السرقة أو الموت، أخشى أن أجبر على ترك بيتي يوماً بقوة السلاح، وأن أترك مكتبتي لمصيرها؛ فهل تتوقف هذي الحرب الشرسة الدائرة على أرضنا والمقتفية أرواحنا وأحلامنا؟ هل من حريص على مكتباتنا العامة والخاصة التي يتهددها التآكل بالنار والفوضى والخراب؟ نأمل أن تنتشر المكتبات في كل الأحياء والقرى على سبيل إعادة إحياء العقول والنفوس، ومحو المسافة الكبيرة حد القطيعة بين الناس والقراءة.

قراءة في الأزمة الوطنية في مطلع عامها الثالث

حسام الدين خضور

بدأت أزمتنا الوطنية قبل ربيعين وكان فيها من بشائر الربيع أشياء كثيرة، تمثلت في الدعوة إلى الحريات السياسية ومحاربة الفساد والمحسوبيات وتداول السلطة ورفع المظالم وتوفير فرص العمل، وغير ذلك من مطالب سياسية واقتصادية واجتماعية. وقد شارك اتحاد الكتاب العرب في الحراك الشعبي الذي امتد على مساحة الوطن حواراً أثمر تغييرات كبيرة شملت الدستور وقانون الأحزاب وقانون الإعلام وقانون الإدارة المحلية وغيرها. ولدت على أثرها أحزاب جديدة، بقيت محدودة الفعالية بسبب استمرار أعمال العنف وتفاقمها.

لماذا لم تنجح الحكومات المتتالية في حل الأزمة الوطنية؟

ثمة، في رأيي، مجموعتان من الأسباب، الأولى داخلية والثانية خارجية.

سأتحدث أولاً عن الأسباب الداخلية، على الرغم من أن الأسباب الخارجية تلعب في أزمتنا الوطنية دوراً أساسياً، عطَّل الجهود الداخلية الرامية إلى إيجاد حلول واقعية للأزمة الوطنية. سأفصل ذلك عند حديثي عن الأسباب الخارجية.

الأسباب الداخلية: طبيعي أن تكون للأسباب الداخلية الأولوية؛ لأن الخارج لا يمكنه أن يؤثر في الداخل، ما لم توجد ثغرات في البناء الوطني يمكن للخارج أن يستغلها للتدخل في الشأن الداخلي لدولة ما.

ربما كان السبب الأول هو تخلف النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي. فنظام حكمنا قديم، من زمن مضى. كان ينبغي أن يتغير عندما انهارت الأنظمة الشيوعية في بلدان أوروبا الشرقية. لكنه تكيَّف حينئذٍ مع الأوضاع المستجدة، واستطاع الاستمرار عشرين سنة أخرى. لن أتحدث في هذا السياق عن العوامل المحلية والإقليمية التي ساعدته على الاستمرار. تكفي الإشارة إلى عاملين، الأول إقليمي حرب الخليج الأولى، والثاني محلي ـ كان النظام قد خرج من نزاع داخلي ضد الإخوان المسلمين وحلفائهم منتصراً، وفرض سيطرة شاملة على كل مناحي الحياة في سوريا.

وقد أدى ذلك (ثانياً) إلى تعطيل الحياة السياسية في البلد، تمثل في عدم قيام أحزاب سياسية فاعلة، وحال دون بروز نخب سياسية تحظى بدعم شعبي وطني. إن الأحزاب والنخب السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية صمامات أمان اجتماعية.

وقد تسبب هذا في (ثالثاً) عدم وجود بديل سياسي يستطيع أن يملأ الفراغ من خارج النظام وعدم نضوج التحول السياسي داخل النظام. فالأنظمة الشمولية انهارت من الداخل في دول أوروبا الشرقية بطريقة سلمية، إلا رومانيا. (ربما لو لم ينجب الإنسان الأول لما مات على الإطلاق!)

رابعاً: استفحال الوضع المعيشي والبطالة والغلاء الناجم عن السياسات الاقتصادية التي اتسمت بالليبرالية.

خامساً: تفشي الفساد والمحسوبيات وعدم تكافؤ الفرص.

سادساً: تدخل الأجهزة الأمنية في كل مجالات الحياة العامة على نحوٍ يتجاوز القوانين والأنظمة النافذة.

الأسباب الخارجية:

يبدو أن الغرب بقيادة الولايات المتحدة قد وضع خطة استراتيجية يدعم من خلالها الجماعات الإسلامية للوصول إلى السلطة تحت لبوس الديموقراطة، وفي حسابه أن الأحزاب الإسلامية ذات قاعدة شعبية واسعة تضمن لها البقاء في السلطة وتحقيق مستوى مقبول من الاستقرار السياسي والاجتماعي لعقود قادمة، وفي ظنه أن القوى القومية استنفدت قدراتها ووصلت إلى طريق مسدود، واستمرارها يتطلب إصلاحات ديمقراطية حقيقية. وكما يبدو أن الغرب بقيادة الولايات المتحدة لا يريد هذا، ويفضل عليه غلبة حزبية تستطيع أن تدير أزمات بلدانها إلى أجل طويل نسبياً. وهكذا انتقل من التعامل مع الحكومات المنبثقة عن أحزاب وطنية وقومية والاعتراف بشرعيتها إلى التعاون مع الأحزاب الإسلامية؛ لتحذو حذو الأحزاب القومية والوطنية فتنفرد بالحكم، بطريقة أو أخرى، لعقود تأتي أيضاً.

والتنسيق شبه الكامل بين الدوائر الغربية والمجلس الوطني السوري ثم الائتلاف الوطني دليل على ما ذهبت إليه: أن الغرب ضد الإصلاحات الديمقراطية الحقيقية في العالم العربي. وعليه يتدخل في شأننا الداخلي ليعمق الانقسام الوطني ويفاقم حربنا الداخلية، فندخل في عملية تدمير ذاتي.

ثمة ثلاثة أشياء تهم الغرب في منطقتنا، هي:

مصادر الطاقة.

أمن خطوط الطاقة.

إسرائيل ذات الوظيفة الأيديولوجية والجغراسية.

وهذا ما يدفع الغرب إلى المحافظة على الأنظمة الملكية والأميرية القروسطية العربية، التي تمثل بذاتها فضيحة إنسانية في القرن الحادي والعشرين، وإلى حماية إسرائيل التي قامت على العدوان والاحتلال، وتمارس الفصل والتمييز العنصري ضد الشعب الفلسطيني.

لا يجد الباحث كبير عناء في استنتاج أن الغرب يريد تدمير سوريا بعد أن ربط مصر والأردن باتفاقيتي سلام مع إسرائيل ودمر العراق وقسَّم الشعب الفلسطيني، في الداخل والخارج.

وهذا ما يفسر عدم رغبة الغرب بالوصول إلى تسوية وطنية تكون نتيجتها إدخال إصلاحات عميقة في سوريا، وهذا ما تحتاج إليه سوريا، وهو ما هي ناضجة له في الواقع، وهي، الإصلاحات، التي تحظى بتأييد واسع داخل النظام وخارجه.

عسكرة الثورة الذي دفعت إليه، ومارسته منذ الأيام الأولى، قوى معينة لم تُرِد القيام بإصلاحات ديمقراطية في النظام، هي التي تنسق مع الغرب، من الجانب السوري، على نقل السلطة السياسية في العالم العربي إلى القوى الإسلامية.

تزعم هذه القوى أن النظام غير قابل للإصلاح ولا بد من إسقاطه بكل مكوناته. وأنا أحب أن أذكر هذه القوى، التي تبرر العسكرة وتوجه الاتهام إلى النظام أنه هو الذي دفعها إلى التسلح دفاعاً عن النفس، أن الثورة الإيرانية حافظت على سلميتها إلى نهايتها الظافرة على الرغم من بطش السافاك والشرطة بالمتظاهرين ضد الشاه.

والآن يمكن للباحث أن يراجع سيناريو السنتين المنصرمتين، ويرى بوضوح أن العسكرة كانت هدفاً لبعض قوى الحراك بهدف تقويض أركان

البقية.....ص22

الافتتاحية

حسين جمعة

تراجع مشروع الهيمنة الأمريكي/ الصهيوني

تراجع المشروع الأمريكي في العراق، ثم ها هو ذا يعلن عن تراجعه في أفغانستان؛ بعد أن سقط في مستنقع الأزمة الصومالية من قبل... فقد صرح الرئيس الأمريكي (باراك أوباما) بأن جيشه سينسحب من أفغانستان بحلول (2014م) وإنهاء حالة الصراع بين (طالبان) والحكومة الأفغانية، ما جعل الإدارة الأمريكية تتراجع في مواقفها المؤيدة للحكومة، وتهادن طالبان وتقبل المفاوضات معها، وتدعو الطرفين للقيام بالمصالحة.

ويبدو لي أن الإدارة الأمريكية بما تملكه من سياسة (فن إنتاج الضرورة) وسياسة (المكر والدهاء والخداع) حَوَّلت سياستها إلى آليات الفوضى الخلاَّقة، وإحداث الفتن الداخلية القاتلة في النسيج الاجتماعي والعرقي والطائفي... فهي تريد أن تهيمن على المنطقة وسرقة مواردها من خلال الاقتتال بين أبناء المنطقة على صعيد كل دولة؛ ثم على صعيد دول المنطقة... وقد حرّكت عملاءها والأنظمة المتصهينة للقيام بهذا الدور؛ ولاسيما أن أمريكا ما زالت تعاني جراحاً نازفة من سياساتها في أفغانستان والعراق والصومال حتى أخذ اقتصادها يتهاوى، أو يترنح...

أما المشروع الصهيوني فإن انحساره يتجلى بأشكال عدة منها ضموره خلف الجدار العازل الذي أقامه الكيان على نفسه في فلسطين المحتلة. ولا شك لدينا في أن هذا الجدار قد عزل قرى فلسطينية عن أخرى؛ وربما قسم القرية الواحدة شطرين، بعد أن صودرت مساحات كبيرة خُصصت له؛ وصحيح أنه جدار عنصري بشع؛ بيد أنه يوحي بما آلت إليه النفسية اليهودية من خوف جعلها تقيم هذا الجدار لتحمي مغتصبي الأرض... وترسي في نفوسهم الطمأنينة من هجمات المقاومة الفلسطينية. ثم إن الوعي النضالي الوطني لأبناء فلسطين جعلهم يتمسكون بحقوقهم الثابتة في أرضهم وتقرير مصيرهم وإنشاء دولتهم من دون أن يأبهوا لهذا الجدار ولآلة الفتك الصهيونية.. وما احتفالهم بيوم النكبة (1948/5/15م) ويوم الأرض (1976/3/30م) إلا دليل على ذلك. فقد أيقنوا بأنهم سيحققون ما يصبون إليه ما داموا متمسكين به، مدافعين عنه، يضحون في سبيله بإرادة لا تلين.

فالشعب الفلسطيني آمن إيماناً مطلقاً بأن المشروع الصهيو-أمريكي ليس قدراً منزلاً، وما زال متمسكاً بحقوقه ومتشبثاً بأرضه ومُصراً على عودة أبنائه المهجرين... علماً أن عدد من بقي في الأرض المحتلة صار يزيد على مليون وسبعمئة ألف نسمة عدا من يقطن في غزة... ما يثبت أن البنية الديمغرافية السكانية تميل لصالح السكان الأصليين، وأن الوضع الصهيوني سيبقى وضعاً طارئاً؛ وسيتحرر أولئك السكان من تبعات (أوسلو) عاجلاً أم آجلاً، والوطن والحرية لا يمكن أن يقايضا بدراهم معدودة. ومهما كانت المعيشة صعبة ومرَّة، ومهما زاد الحصار الاقتصادي من تجويع مثل عدم وصول عرب (48) إلى رئاسة الحكومة وفق قانون (1997م)، وقلة المخصصات المالية ونفقات الإسكان والدراسة؛ وقانون العودة لعام (1950م) الذي منع عودة المهجرين الفلسطينيين إلى أرضهم بينما سمح لشذاذ الآفاق بذلك، وقانون الجنسية لعام (1952م) الذي نصّ على «أن كل يهودي عائد إلى (إسرائيل) يصبح حكماً مواطناً (إسرائيلياً)»... نقول مهما كان ذلك كذلك ومهما تجاهلت الأمم المتحدة حق الشعب الفلسطيني بأرضه وتقرير مصيره فإن الصهيونية ستبقى مساوية للعنصرية وفق قرارها رقم (3379) الصادر في (1975/11/10م) والذي ينص على أن «النظام العنصري الحاكم في فلسطين المحتلة والنظامين العنصريين الحاكمين في زيمبابوي وجنوب أفريقيا ترجع إلى أصل استعماري مشترك؛ وتشكل كياناً كلياً؛ ولها هيكل عنصري واحد، وترتبط ارتباطاً عضوياً في سياستها الرامية إلى إهدار كرامة الإنسان وحرمته».

ومما يؤسف له أن الجمعية العامة للأمم المتحدة عادت عن هذا القرار، وألغته بالقرار رقم (46/86) الصادر بتاريخ (16/ أيلول) من عام (1991م)، ولكن شعبنا العربي وشرفاء العالم ما زالوا يساندون ذلك الحق بكل قوّة، على الرغم من استمرار الجراح النازفة... وإذا كنا نؤمن اليوم بأن المشروع الصهيوني ينحسر إلى الوراء فإننا نؤمن بأن المشروع الوطني الفلسطيني سينتصر في نهاية المطاف، ولا بدّ لليل أن ينجلي.

ثقافة غريبة عن تربتها

عارف آغا

ليس هناك شخص مهما كان لديه قدر ضئيل من الوعي لا يدرك ولو إدراكاً غامضاً أن الأمة العربية تعاني منذ أكثر من قرن من أزمة حضارية عميقة ومعقدة وشاملة.. أزمة طالت وتطول مختلف أوجه النشاط البشري والحيوي للأمة. وهي على ما يبدو ليست أزمة طارئة؛ بل تعود جذورها إلى تلك المرحلة التي جاء فيها الغرب الاستعماري بجيوشه ومدافعه يدق أبواب المدن العربية الغارقة في سبات حضاري, حاملاً معه نزوعه إلى السيطرة والنهب، وإلى فرض حضارة كونية غربية تحت فكرة «مسؤولية الرجل الابيض» تسويغاً لتوسيع هيمنته السياسية والاقتصادية والثقافية على المجتمعات غير الغربية.. منذ ذلك الوقت دخل الشرق العربي في أزمته الحضارية الراهنة التي ترزح الروح العربية تحت وطأتها، وتسلبها القدرة على إيجاد أشكال تعابيرها الخاصة بها، وبلورة شعورها الخاص بذاتها، وتأكيده لنفسها وللعالم من حولها.

يصف الفيلسوف الالماني ازوالد شبنغلر هذه الظاهرة الأزمة بالتشكل الحضاري الكاذب، فيقول: "التشكّل الحضاري الكاذب هو تلك الحالات التي تكون فيها حضارة قديمة متوضعة بصورة واسعة فوق أرض إحدى البلدان، وتتعرض لقوة أو تأثير حضارة أخرى غريبة عنها، فتمسي محاولة النهوض الفتية الغضة التي تولد على أنقاض القديمة ومن رحمها عاجزة عن أن تخطف أنفاسها نتيجة لتموضع تلك الحضارة الغربية فوقها؛ لذلك فإن ما ينبثق من أعماق هذه الروح الغضة لا يلبث أن ينصب في القوالب الفارغة، وتفقد هذه الحضارة القدرة على تحقيق أشكال تعابيرها الخاصة بها، وتفشل في تطوير شعورها الخاص بذاتها تطويراً كاملاً"، ويتجلى هذا التشكل في بعض ميادين النشاطات البشرية المادية والثقافية والفنية، ذلك لأنه ليس بالضرورة أن يشمل كل مناحي حياة الحضارة, فقد يتحقق في بعض مظاهرها وميادين حياتها، وقد يكون شديداً أحياناً وسطحياً في أحيان أخرى، أما امتداده الزمني فلا يمكن تحديده، قد يطول قروناً وقد لا يعيش طويلاً؛ هذا رهن بعوامل عديدة منها ما يتعلق بالحضارة؛ موضوع التشكّل الكاذب ومنها ما يتعلق بتلك التي فرضت وجودها وقيمها عليها.

إن أخطر مظاهر هذا التشكل هي تلك التي تستهدف العقل لتعيد صياغته بصورة تفصله عن نفسه الأولية، عن جذوره التي تمتح من صلب موروثه الثقافي، ومن رحم بيئته التي حددت أشكال وعيه ومضامينه وطرائق استجابته للمؤثرات الخارجية من حوله وفهمه لها. وبالتالي تسعى إلى أن تنزع من الحضارة المستهدفة ثقافتها المحلية وهويتها، وتسلبها أصالتها ومكوناتها الخاصة بها، فتتحول إلى ثقافة تابعة معادلة للثقافة اللاوطنية واللاقومية ، ثقافة غريبة عن تربتها، مشبعة بقوالب الفكر والثقافة الغربية، ورهينة لعملية استلاب واغتراب، تشوه وعي الأمة وقيمها وأنماط تفكيرها وطرائق عيشها وادراكها لنفسها وللعالم من حولها. وبدلاً من أن تتصاعد بفضل ما لها من قدرة ذاتية على النمو بنفسها، لا ينمو فيها غير الحقد الهائل والكراهية العميقة التي تحملها ضد القوة الأجنبية التي تغمر روحها بطبقة كثيفة من الغطرسة والاستعلاء، وتولّد لديها شعوراً بالدونية والتبعية، فتنزع من الذات إرادتها وحقوقها، وتملي عليها تفاعلاً مع واقعها لا ينسجم مع ماهيتها الحقيقية وهويتها، فتعيش في حالة من الاستلاب والاغتراب والتغريب تحول قدرات الإنسان وخصائصه ونواتج نشاطه، وإبداعه الفكري والفني إلى ما هو مستقل عنه أو غير متوائم معه أو مضلل له أو متسلط عليه، هذا الاستتباع الحضاري والاستلاب المعرفي والنفسي، هو شكل من التفاعل الحضاري يميز موقف الضعيف المهزوم من القوي المنتصر, و قد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى هذه الحالة بقوله: «إن المغلوب مولع أبداً للاقتداء بالغالب في شعاره و زيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده".

وما يزيد الأمر سوءاً وتعقيداً أن الحضارة الغربية نفسها تشهد اليوم صور انحلالها وتفسخها، وتجر معها العالم في احتضارها هذا؛ فالغرب الرأسمالي الذي يدمّر التوازن النفسي والاجتماعي للفرد في عملية السيطرة والاستلاب، ويخل بالتوازن البيئي وبالتوازن البنيوي في تنظيم المجتمع، والذي يعمل على نفي دور الآخر وقسره على القبول بالتبعية؛ إنما يقوم بعملية تدمير نهائية لقدرة الإنسان على التكيف البيولوجي والثقافي مع بيئته، تضع الإنسان المعاصر، ولاسيما الإنسان في العالم الراسف تحت التشكّل الكاذب، أمام أزمة عميقة جداً و شاملة جداً، أزمة نهوض حضاري بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، تلك هي أزمتنا الثقافية، وما أكثر ضحاياها من المثقفين العرب الذين تشوهت أرواحهم ونتاجاتهم، وما انفكوا يشوهون روح الأمة ويعبثون بعقلها ووجدانها على حد سواء. هذه النخب المشبعة بالثقافة الكولونيالية، هي من يعتمد عليها الغرب في عملية تغريب الثقافة العربية وتدمير الهوية التي تمثل في الوجود الثقافي المستوى الأعمق من مكونات هذا الوجود، هذه النخب التي خانها التحليل الطبقي كما خانتها عزيمة النضال وأغواها شيوخ النفط ودولارتهم، من على شاكلة "القومي" في الكنيست الاسرائيلي عزمي بشارة والليبرالي برهان غليون، واليساري المتجه الى الدوحة ميشيل كيلو وغيرهم من التروتسكيين البائسين، يرددون صدى أفكار وسياسات كيسنجر وبرجنسكي ودينس روس وشمعون بيريز ومراكز الأبحاث الغربية والصهيونية، وباتوا من دعاة ذبح قوى المقاومة ومروجيه، وفكر المقاومة وبيع حرية أوطانهم وتدميرها من أجل "دقة تحليلاتهم"، لقد سقطوا أسرى تطلعاتهم الشخصية وأوهام الرهان على أعداء أمتهم.

في الحقيقة؛ المثقف لم يسقط لأنه لم ينهض أساساً؛ إنه يعيد إنتاج ولائه، لعله يحظى برضى أعداء أمته ووطنه.. لا أكثر من ذلك، وتكمن الإشكالية هنا في تضخم الذات الثقافية للمثقف على الذات الثقافية للمجتمع، فتغدو الأوليات الخاصة للمثقف هي ضرورات الأمة والمجتمع بالنسبة إليه، ويسوق لها من الدلالات ما يدعمها في صور فلسفية براغماتية زائفة، ويبرهن على أنها النظرة المثالية لمسار التقدم ومعالجة الخلل الحضاري في بيئة تربته.

إن إشكالية التشكل الكاذب هي المسؤولة عن الوعي الزائف، وعن الخلل في هذه العلاقة الحضارية المعقدة مع الغرب الامبريالي، وهي المسؤولة عن إنتاج هذا التراكم المشوه للعديد من الأنماط الثقافية التي تعرض وتسوّق على طريقة البضاعات الكاسدة والعاطلة عن الاستخدام، لهذا فإن أخطر مظاهر هذا التشكل هي تلك التي تستهدف العقل لتعيد صياغته بصورة تفصله عن نفسه الأولية، عن جذوره التي تمتح من صلب موروثه الثقافي، ومن رحم بيئته التي حددت أشكال وعيه ومضامينه وطرائق استجابته للمؤثرات الخارجية من حوله وفهمه لها. وأحدث هذا الخلل إرباكاً في عملية مواجهة تحديات العصر الداخلية منها والخارجية، فبدت كأنها تستحيل على المواجهة، وتستعصي على الفهم. لذا لم يكن غريباً أن تغرق الأمة ومثقفوها في الرمال المتحركة لأزمتها، وينكشف ضعفها وفقدان بوصلتها، ومن جانب لآخر، وكرد فعل تلقائي لهذا الواقع المأزوم يجري الهروب من الحاضر وإشكالياته باستحضار الأيام المجيدة الغابرة التي تنتمي إلى الماضي السعيد والبعيد. وهذا الإصرار على محاولات إحياء الماضي الميت يعرقل نمو الحاضر الحي؛ بل يكاد غالباً ما يستحوذ عليه إلى حد يكون فيه أكثر حياة من الحي نفسه، وهو ماثل بوصفه قوة مستقلة عن الحاضر، قوة دائمة الحضور منافسة له تدافع عن حقوقها إزاءه، وتحاول أن تحل محله لو استطاعت، لكن محاولة الهروب هذه بحثاً عن مخرج من الحاضر تفقدنا القدرة على أن نكونه لا أن نعيش فيه فحسب، وبذلك تسد الطريق على المستقبل؛ فنتدافع طوعاً وبإرادتنا للجلوس على رصيف التاريخ، نندب ضيعة الإيمان والأيام المجيدة الغابرة، ويغمرنا القلق على الهوية، وينتابنا الإحباط واليأس، بعد أن فقدنا القدرة على الدفاع عن أنفسنا، وعلى القيام بالدور الذي ينبغي أن نلعبه في ساحة الصراع بين الأمم.

صحيح أن التاريخ لا يسمح للناس بالهروب من تراثهم، لكنه يمنحهم فرصة إعادة صياغته. فالتعبير عن ذات الأمة لن يتم بالقطع عبر إقحام الماضي المتحقق في جدلية الواقع الراهن المتغير والمتحرك؛ بل عندما تشعر الغالبية العظمى من الناس بالحاجة إلى الخروج من أزمتها، ولن يتم ذلك ما لم تشعر تلك الأغلبية العظمى من الناس أن الأهداف الكبرى في الحياة مشتركة، وما لم ينضج هذا الشعور تماماً تبقى الأزمة طاغية، وتزداد تفاقماً بفعل منطقها الداخلي.

لا سبيل سوى الاستجابة لتحديات الأزمة والخروج من إسارها وحصارها، ويتطلب هذا تجاوز حدود الرغبة إلى الوعي بضرورته وامتلاك إرادة تحقيقه، ولهذا التجاوز شروطه، وأهم شروطه إدراك طبيعة الأزمة والوعي المتزايد بالحاضر، وبناء مجتمع يستطيع أن يخطط لنفسه حياة منظمة تعتمد على العقل والعدل، وأن تشعر الغالبية العظمى من الناس أن الأهداف الكبرى في الحياة مشتركة، فحد العقل، كما يقول الفيلسوف المصري زكي نجيب محمود: «هو أن ينتقل الإنسان من معلوم إلى مجهول، من شاهد إلى غائب، من ظاهر إلى خفي، من حاضر إلى مستقبل». إننا إذاً بحاجة إلى روح جديدة في التربية تأخذ بمنطق العقل الذي يأخذ بجدلية حركة الظواهر ونموها بحكم تكوينها الداخلي. وبالعقل وحده يمكن معالجة حضور الغيب بقوة في العقل العربي؛ حيث لا يزال غائباً لديه الإحساس بوجود نظام تحكمه القوانين؛ إذ لا وجود نظره لنظام طبيعي صلب وراسخ، ولا تزال القوى الغيبية لصيقة به إلى درجة تجعلها قادرة على مسه في أية لحظة، وهذا هو المدخل الرئيس لتجاوز إشكاليات التشكل المميتة. لكن محاولة إدراك وتحليل إشكاليات الحاضر المعقدة، مهما كانت جادة، تبدو تحدياً لقوة العقل العربي وتصوراته.

العقل هو في النهاية المدخل إلى العلاج، لكن، وكما هو حالنا دائماً؛ فإننا نصرف من الجهد في البحث واكتشاف الأسباب الكامنة وراء أزمتنا، أقل مما نفعل في محاولة إيجاد علاج ولو جزئي وأسهل يحجب عنا مؤقتاً الأعراض الأكثر إيلاماً ووضوحاً لأزمتنا. ولن نستطيع الشروع في العلاج ما لم نولي هذه الظاهرة أقصى اهتمامنا، ونكشف عن طبيعتها وأبعادها وتأثيراتها على حاضرنا ومستقبلنا. حتى لا نبقى خارج دائرة الإرادة بسب الإحباط الذي يوهن الروح والعزيمة. إن هذا القلق الروحي للإنسان العربي فرداً ومجتمعاً يبقينا في دائرة الاستتباع والاستلاب، ويعرض مصيرنا الوجودي للخطر، ما لم نسارع إلى التحرر من إساره وإلا سنخفق في عملية كتابة تاريخنا، وبالتالي ترك المجال متاحاً أمام الآخر الغربي أن يقوم بالمهمة نيابة عنا.

ثقافة الحوار أهميتها ودورها

عبد الحميد غانم

تتردد كلمة حوار كثيراً على مسامعنا هذه الأيام، وكأنما نحن بصدد ظاهرة جديدة أو مفهوم جديد، حتى كادت عبارات الحوار مثل: ثقافة الحوار - روح الحوار - ضرورة الحوار - تفعيل الحوار - الدخول في حوار - حل الخلافات عن طريق الحوار، أن تتحول إلى كليشيهات جامدة؛ بل إنه ظهرت أيضاً مفاهيم جديدة كثيرة تتداول على مستوى السياسة الدولية مثل: «حوار الحضارات»، «حوار الشرق والغرب »، وغيرهما.

الحوار هو سنة الكون وسنة الحياة؛ فلا حياة بلا حوار، ونحن بحاجة إلى الحوار دائماً في مفاصل الحياة جميعها؛ انطلاقاً من عملنا السياسي وحتى حياتنا الاجتماعية وحتى داخل الأسرة الواحدة.

الحوار ودوره في الرقي بالأمم

تثير قضية الحوار بين الثقافات مجادلات كثيرة منذ أحداث 11 سبتمبر حتى الآن. وهي زادت تفاقماً ليس بفضل سلسلة من الأعمال البحثية التي تركت تأثيراً مباشراً في صانعي القرار؛ فالحوار لم يعد أمراً ثانوياً أو هامشياً، وإنما أصبح ضرورة حياتية لكل الشعوب؛ فقد تقاربت المسافات وتشابكت الثقافات؛ وأُزيلت الحواجز بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية، وما صاحب ذلك من تيار جارف للعولمة.

إن الانفتاح على الآخر لا يمكن أن يقضي على ثقافتنا؛ بل قد يكون حافزاً لمعرفة أبنائنا بثقافتهم؛ خصوصاً أن العالم متشوق الآن لمعرفة الثقافة العربية؛ الثقافة التي ضمّت الأطياف كافة، فكانت فاعلة في وقتها.

مشكلة التفاهم الدولي هي مشكلة علاقات بين الثقافات، فمن هذه العلاقات بين الثقافات يجب أن ينبثق مجتمع عالمي جديد، قوامه التفاهم والاحترام المتبادل... وهذا المجتمع، يجب أن يأخذ صورة نزعة إنسانية جديدة يتحقق فيه الشمول بالاعتراف بقيم مشتركة تحت شعار؛ تنوع الثقافات.

تعريف الحوار

الحوار: هو ذلك النقاش الذي يتم بين طرفين كلاهما راغب في معرفة الرأي الآخر، وهو يختلف تماماً عن المناظرة التي تتمّ بين فريقين يحاول كلّ منهما الفوز على صاحبه.

الحوار هو الوسيلة المثلى للتعايش بين الأمم والشعوب، ولإزالة أسباب التوتر والصراع الذي يؤدي إلى نشوء الأزمات الدولية.

ثقافة الحوار

التمايز والتنوع في الثقافات، واقع تاريخي ومحفز حضاري تتبارى في مدارجه الأمم وتتنافس في شتى ميادينه ومجالاته... وهو في الوقت نفسه مناط اعتزاز وفخر؛ فكل أمة تباهي غيرها بثقافتها وفلسفتها في الحياة من خلال رؤيتها للإنسان والكون والحياة، وما يترتب على ذلك من اعتبارات ونماذج هي عندها بمثابة المثل والقيم العليا التي تأخذ بنفسها نحوها، وترصد ما حققت من نجاحات ومقاربات نحو غاياتها، وتعدها مصدراً لذلك الفخر والاعتزاز.

وحتى مع تقارب عالم اليوم، وكونه اندمج في إطار حضاري عام أو كاد، يبقى لتنوع الثقافات وتمايزها، المنطق الأقوى والسند المتين من الواقع والتاريخ ومن العقل والوجدان، ولا تتنافى هذه الحقيقة مع الواقع الحضاري في شموله وعمومه، لأن المنجز الحضاري نتاج مشاع للجميع من حيث هو نتاج طبيعي لجهود البشر قاطبة، وثمرة مشتركة، وليس حكراً على أمة دون الأخرى.

يضعنا مفهوم «ثقافة الحوار» أمام قضية معرفية تتعلق بتأسيس السؤال: هل بوسعنا أن نصف ثقافة معينة بأنها ثقافة حوار، من غير أن يكون لانحيازنا الطارئ إلى "الحوار" أثر بيِّن في الحكم؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب، فما مقومات هذه الثقافة، وما الأسس التي تجعل منها ثقافة حوار؟

إنّ حوار الثقافات هو مشروع حياة البشرية ومستقبلها، والمنهج الذي يدفع الشعوب إلى أن يتعاطى بعضها مع بعض بالأسلوب الإنساني الرفيع القائم على أساس التعارف لا الخصام. كما أنّ الحوار طريق البشرية الوحيد، بل هو ضرورة حياتية في ظل الظروف الراهنة، من أجل إنقاذ السفينة التي توشك أن تغرق ويغرق معها ركابها جميعاً، ومن ثم فإنه ينبغي على الجميع، في السفينة، توفير الظروف المناسبة للقيام بهذا الحوار من أجل سلامتهم ومستقبلهم، وكي تواصل السفينة سيرها نحو الأجيال القادمة.

وثقافة الحوار تتطلب الاعتراف، التعرف، التعارف، إن أي تعريف بنا وبأفكارنا ومعتقداتنا ما لم يسبقه اعتراف وتعرف وتعارف، يصبح جدلاً، ولن يكون لبنة في الحوار الحضاري المطلوب.

الحوار ظاهرة إنسانية لازمت المجتمع الإنساني منذ الأزل، فالإنسان الواعي يحاور نفسه، وكذلك أفراد أسرته، ومجتمعه للتعرف إلى وجهات النظر وتقريبها أو توحيدها حول القضايا المختلف عليها بغية حلها، ويظهر الاختلاف من تعدد الآراء والتباين في وجهات النظر تجاه موضوعات علمية وسياسية واجتماعية.. مما يجعل الحوار وسيلة لمناقشة الآراء والأفكار وتبادل وجهات النظر على أسس عقلانية من قبول للآخر وعدم فرض الآراء الشخصية والتعصّب لها.

بالحوار نستطيع أن نقرّب وجهات النظر، وإذا عملنا على تقدير وجهة النظر الأخرى ومعرفة أسباب تبنّي الطرف الآخر لها، سنجدها أقل بشاعة، وأخف ضرراً ممّا كنّا نتصور قبل أن نبدأ الحوار، ونتيجة لتوقف الحوار في عالمنا العربي, خصوصاً في عقودنا الأخيرة، أصبح بعضنا ينظر لبعض بعين الشك والريبة، ونسارع إلى التصنيف، فهذا ليبرالي، وذاك متحجر الفكر، وثالث مبتدع..

إن الحوار لا يقتصر على التواصل الإنساني بين أفراد المجتمع، وتأكيد قيم المحبة والتسامح والاعتدال، بل هو وسيلة لبحث القضايا الوطنية الملحة، والقضايا العالمية التي باتت تؤثر في المجتمع.

وحتى تكون ثقافة الحوار سائدة ومعممة، لا بدّ أن تفتح لها الأجواء كعمل مشروع لثقافة المجتمع المدني، وقبل ذلك لا بدّ من أن تزال الشكوك والحواجز وعدم الثقة، ونسمح بظهور وتواصل الأطياف الثقافية التي باتت جزءاً من الثقافة العربية، خصوصاً ونحن نعيش ولادة عالم جديد متعدّد الحضارات والثقافات والأقطاب أيضاً.

الحوار يتطلب إدراك أن الاختلاف هو الأساس، وأن البشر شعوباً وقبائل ليس فقط في أعراقها وإنما في تفكيرها ومعتقداتها, وأنه من دون الاختلاف لا نستطيع إدراك ماهية الأشياء، فاللون الأسود يدرك فقط بوجود الأبيض، والغرب غرب لأن الشرق شرق، وخلط الأسود والأبيض يعطي الرمادي، وخلط الشرق بالغرب يعطي الوسط ، وكلما زدنا في نسبة أحدهما كان ذلك على حساب الآخر.

أهمية الحوار

يعد الحوار ظاهرة طبيعية تتسم بها المجتمعات، لذلك يحرص الإنسان على الحوار، لأنه حاجة ضروريّة لحل الاختلاف، ووسيلة اتصال مع الآخرين، وأسلوب مهم للوصول إلى الحقيقة، وسمة حضارية للمجتمعات المتطورة، كما أنه ضرورة دائمة لوحدة المجتمع وتماسكه والتواصل المثمر بين أبنائه، والبعد عن التنافر والانغلاق والانعزالية؛ وصولاً إلى تحقيق التآلف والتعاون، وبات الحوار سمة للمجتمعات المتطورة.

ويعد الحوار ضرورة لكل المجتمعات، لأنه يقوي النسيج الوطني، ويخلق استجابة للتحديات التي تتهدد المناعة الوطنية مثل الفساد والتخلف والتعصب ومواجهة الأخطار الخارجية كالغزو الثقافي والإعلامي وتفتيت الوحدة الوطنية.

الحوار المنظم شروطه وآدابه ومعوقاته

الحوار المنظم: هو حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية محددة وفق خطة موضوعة مسبقاً.

وهو طريقة من طرائق التواصل، ويكون بتبادل المعلومات والفكر والخبرات. وهو طريقة للتفكير الجماعي والنقد الفكري الذي يؤدي إلى توليد الأفكار وزيادة المعرفة والوعي.

من شروط نجاح الحوار: مشاركة الجميع فيه – تجنب المتحاور الإطالة في عرض فكره – احترام حق الآخرين في إبداء آرائهم – تقبل آراء الآخرين وتجنب الانفعال.

من آداب الحوار:

- عرض الرأي بمنطقية وتجرد عن الميول والرغبات.
- تأييد الرأي بالحجة والدليل.
- التزام الهدوء، وتجنب الانفعال في الحوار.
- تقبل آراء الآخرين المخالفة للرأي الشخصي.
- التزام الوقت المخصص للحوار.
- التزام الحديث عن القضية المطروحة.

التحضير للحوار:

- جمع المعلومات اللازمة للحوار مستفيداً من الأفكار السابقة المنشورة حول قضية الحوار.
- تأييد المعلومات والأفكار بالبراهين والأدلة المناسبة.
- تحديد شكل جلسة الحوار (مربع مفتوح – حلقة دائرية...).
- تسمية مدير الجلسة.
- يدير الحوار أحد المشاركين، ويسعى الجميع إلى تحقيق الأهداف المنشودة لجلسة الحوار.

من معوقات نجاح الحوار المنظم:

الجدل – الانسحاب – إصدار الأحكام – الحوار الجانبي – الاستخفاف بالآخر – عدم المشاركة – اللامبالاة – التوتر – الخروج عن الموضوع..

أسس الحوار وأنواعه

من أسس الحوار: تحديد موضوع الحوار – احترام الآخر – مراعاة الوقت – الإقناع العلمي – توثيق المعلومات – التدرج في عرض الموضوع – تقبل الحقيقة .

أنواع الحوار:

يتنوع الحوار وفق اختلاف الأطراف المشاركة فيه والموضوعات التي يتحاور فيها، ومنها:

- الحوار المجتمعي:

وهو حوار يعقد في المجتمعات الاجتماعية لمناقشة قضايا اجتماعية في مؤسسات حكومية ومنظمات أهلية.

- الحوار المدرسي:

حوار يدور في المدرسة أو في مؤسسات تربوية تدور بين الطلاب فيما بينهم أو بين طلاب والمعلمين وإدارة المدرسة، وتدور حول قضايا علمية أو تعليمية.

- الحوار الوطني:

حوار يجري بين أبناء الوطن الواحد أو بين أبناء المجتمع لمناقشة قضايا وطنهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال المؤسسات العامة ومؤسسات المجتمع المدني.

وهناك أنواع أخرى للحوار، وهذه الأنواع ترتبط كثيراً بالأدب والثقافة الانسانية:

1. حوار مع الذات: يتضمن البحث والتأمل وإعادة النظر وتقليب وجوه الرأي المخالفة لمعرفة ما فيها من حقائق كانت غائبة عنا.

2. حوار مع الموافقين لنا: لنتبين ما لديهم من معلومات قد تؤيد رأينا وقد تنقضه، إن نظرنا إليها بتجرد ورغبة في معرفة الحقائق.

3. حوار مع من يخالفنا: وفي هذه الحالة لا بدّ لنا من الصدق وسعة الصدر والرغبة الأكيدة في الحصول على المعلومات.

4. حوار مع الأجيال السابقة من الآباء والأجداد، نتعلم منهم ونتقبل منهم ونرد عليهم، هذا الحوار لا بدّ أن يسوده الاحترام الكامل والتوقير، وأن يكون ردنا عليهم بأسلوب جيد، وأدلة واضحة لا تشعرهم بأننا راغبون في تغييرهم؛ فالهدف هو تقبلهم لاختلافنا عنهم.

الحوار والإعلام

الحوار يعد أرقى وسيلة اتصال بين الحضارات والثقافات والشعوب على مدى الأزمنة، فما قام حوار جاد يهدف للوصول إلى سلام حقيقي؛ إلا ومنع صراعاً كان سيؤدي إلى مأساة إنسانية.

ويؤدي الإعلام والصحافة دوراً كبيراً في تعزيز الثقة بين المتحاورين أو إحداث شرخ بينهم، كما يؤدي الاعلام دوراً فاعلاً في تعزيز أجواء الحوار أو التشويش عليه وبالتالي تخريبه.

أحد أهم عوامل نجاح الحوار هو محاولة كبح جموح المحطات الفضائية والتضييق عليها ما أمكن، لأنها تقوم بغسل العقول وتوجيههم باتجاه القتال والخلاف على كل شيء، وهذا الكلام لا يمكن أن يتم من دون اتفاق خارجي وإقليمي؛ فهناك محطات تقوم على ترويج الفتن وبثها ليلاً ونهاراً وإن توقف هذه المحطات بالتأكيد يساعد على نجاح الحوار ثم البحث عن القامات الاجتماعية والفعاليات المجتمعية التي لها وجود حقيقي على الأرض، ولها احترام مجتمعي، والقادرة على أن تكون قادة لفعاليات كبيرة، ودورها مهم جداً في هذه المرحلة؛ ولكن للأسف أنه ضمن بعض اللجان المكلفة بالحوار هناك شخصيات لا تتمتع بالصدقية، ولا يوجد لها رصيد اجتماعي يستحق الذكر وهذه نقطة خلل.

الشباب و الحوار

يشكل الشباب العربي جوهر التغيير... فكما أن للآخر دوره فإن للشباب أدوارهم، تتوزع وتختلف تتصادم وتتكامل، لكنها في النهاية تبقى مرتعاً تنموياً يستدعي إعادة التكرير من أجل الاضطلاع بشباب قادر على تحمل أعباء المجتمع العربي، قادرٍ على التطوير وصناعة التغيير الصحيح، مبني على إعمال الفكر من أجل حوار شبابي عربي- عربي أولاً، وحوار شبابي عربي- غربي ثانية، غايته إعادة الاعتبار إلى الجوهر الاجتماعي للشباب لتحقيق مشاركته الفعلية في الحياة العامة بما في ذلك الحوار الثقافي.

فكيف يمكن للشباب أن يلعب دوره الريادي في تحقيق الحوار الثقافي؟ ما هي مكامن ضعف ذلك الحوار ونقاط قوته في علاقته بالشباب؟ أيّ علاقة يمكن أن يشكلها الشباب العربي في بناء ثقافة الحوار الثقافي؟ كلها أسئلة تحتاج من مكونات المجتمع التضافر لنجاح الحوار السليم المثمر.

هوية المكان في الأدب

إسماعيل الملحم

ظل المكان على مدار القرون والحقب التاريخية يستهوي الكتاب بعامة والشعراء منهم بخاصة, وما البكاء على الأطلال إلا بعض من ذلك. يحن المرء إلى دارة كانت مرتع طفولته، وإلى حيّ كان مطرح لعب ولهو وإحياء صباحات وأماس مع لدات ورفاق وفتية تظل صورهم تقطن الذاكرة أمداً طويلاً. ومنها أمكنة تكون طريق عبور تطول الاستراحة فيها حيناً وتقصر أحياناً. يكثر ذكر الأمكنة في الشعر العربي قديمه وحديثه، فهو يرد مرات في بعض القصائد ويندر في قصائد أخرى, وقلما خلا هذا الذكر في بعض القصائد. وكان جرير قد أغنى إحدى قصائده بذكر قرى في جبل الريان (جبل العرب)، منها قوله:

يا حبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نفحاتٌ من يمانيـــــة
تأتيك من جبل الريّان أحيانا

ويأتي على ذكر قرى كثيرة من قرى الجبل المعروفة منذ ذلك العهد، قال:

تهدي السلام لمن بالغور من ملح
هيهات من ملح بالغور مُهدانا

وملح الآن بلدة من بلدات قضاء صلخد في محافظة السويداء. ومن القرى التي جاء ذكرها في الشعر القديم، ما ذكره امرؤ القيس في إحدى قصائده واصفاً موقع قرية المجيمر:

كأن ذرا رأس المجيمر غدوةً
من السيل والغثّاء فلكةُ مغزل

ومنه ما قاله شاعر آخر هو عباد بن عوف المالكي ذاكراً قرية المجيمر:

إلى المجيمر فالوادي إلى قطن
كما يخط بياض الرق بالقلم

وتُذكر صلخد, ويتغنى الشعراء بالنبيذ الصرخدي. قالت الجرباء زوجة يزيد بن عبد الملك:

كأن الكرى سقاهم صرخدية
عقاراً تمشّى في المطا والقوادم

وللراعي في النبيذ الصرخدي أيضاً قوله:

ولذّ كطعم الصرخدي طرحتُه
عشية خمس القوم والعين عاشقة

ابتعدت أنماط العيش وأشكال النشاط البشري في السنوات الخمسين الأخيرة كثيراً عما كانت عليه، تغيرت أشياء وتبدلت أحوال. ذهبت تلك الصور التي استقرت دهوراً في الأذهان، حلت بدلاً منها صور أخرى تكاد لا تحمل من تلك التي كانت تميز الحياة في القرية عما كان عليه الحال في المدينة, تغيرت صباحات المدينة التي كان يستقبل فيها الناس أفواج القرويين مع دوابهم المحملة ألواناً من منتوجات حقولهم وحيواناتهم، يوم كانت القرية مصدر غذاء توزعه في شوارع المدن وحاراتها.

ظلت القرية إلى تلك الحقبة القريبة رمزاً للصفاء والبراءة والصدق في جميع جوانب الحياة, تتميز العلاقات فيها بالتواد والتراحم والمحبة. تناقلت بعض النصوص الأدبية تلك الصور المتسمة بالبساطة والوضوح. ومنذ أدرك الكتاب, وخاصة الشعراء منهم, زحف التغير في أنماط العيش وأشكال النشاط البشري وغياب الصور التي ظلت دهوراً لا يدركها التغير إلا رويداً وببطء شديد، أخذوا ينعون ما بدأ بالتبدل في نصوص شعرية أو في مقالات وخواطر نثرية, فيها كثير من الحنين بعد أن أخذت المدن تستقطب أفواجاً من الوافدين إليها من أبناء الفلاحين. وكذلك صارت تستورد القرى أنماط عيش تغير من سلوكهم وعلاقاتهم وطبيعة الحياة القديمة لديهم. بحسرة بالغة يستذكر خليل حاوي هذا التغير:

أتغنين لنا الحب ونجواه ولينه
وصفاء الأمس في ركن السكينة
أتغنين؟ وهل أبقى لنا ليل المدينة
أضلعاً تشتاق ما كان وتشتف حنينه

ويستعيد فؤاد الخشن (خلدة) يوم كانت ضيعة لم يدركها غول التوسع العمراني الذي استبدل الخضرة بغابات الأسمنت الصماء:

من زرقة تغيم في الأعالي
وسمرة الجبال
قد طلعت أميرة الجمال
...
مشاعل الوزال حول بيتنا تضاء/
وأعين الشقائق الزرقاء في سفوحنا تفيق/
أيقظها من نومها الشروق
ونغم مهدهد رقيق
لعابر تحمله الطريق
إلى شعاب غابة الزيتون للظلال
وسرحة العيون والخيال

وتستمر القصيدة في انسياب ذكريات وصور من تلك الحياة الهادئة المطمئنة, يقول:

وجن في حقولنا مزمار
لهائم مقيم يحار
تتبعه الخراف والأبقار
والشاعر الغريق في أحلامه السعيدة
في قصص من أعصر بعيدة
يصحو على ابنته الصغيرة
تدعوه للجنينة الخضراء
لسندس السجادة النضيرة
لأفق ملون يغمره السناء
لعالم الطفولة

ولخليل حاوي في قصيدة (الوعد الجريح) صور أخرى لليالي القرية ولصفاء نفوس أهلها بين كد وزرع وصوت مهباج وترنيم موال:

وقلوب وُلدت في صفوة العيش البرِي
راوحت ما بين
كدٍ, عرقٍ, زرعٍ
وشح في الحصيد
ودوي الجرن والمهباج
من عيد لعيد
حيث يجري
النبع والموال في ظل طري
ألفت طيب الليالي
حول نار الموقدة

الشعر نفاذ عبر الواقع اليومي والحالات النفسية المرتبطة به إلى الأغوار حيث تهجع المنازع الأصيلة في ذات الشاعر وذات الحضارة التي ينتمي إليها، وفي هذا-كما يقول محمود شريح- ضرورة بالعودة إلى الفطرة... ويصر الياس أبي شبكة على العودة إلى الجذور الأولى أو الخلق الأول المجسد طبيعةً في الريف, وزمناً في الماضي, ووجداناً في الفطرة:

أرجع لنا ما كانْ
يا دهر في لبنان
كانت لنا
أحلامنا
والمنى
ارجع إلينا الصباح
والجرن والمهباج
وخصبنا في الربى
ونورنا في السُرج
واسترجع الكهربا
وكاذبات الغنى
يا دهر أرجع لنا
ما كان في لبنان

ضاق بعض الشعراء بالمدينة؛ حيث تاهت البراءة, تدغدغهم ذكريات القرية. وتغنى بعضهم بزمن انصرم في قرى بعيدة. وهذا شاعر في قرية نائية على حدود البادية إلى الشرق من السويداء على السفح الشرقي للجبل, يحن إلى ضيعته تلك يعود إليها إلى ذكرياته, إلى محيطها الزاخر بالآثار, إلى زرعها، إلى مواسم الزرع والحصاد, إلى ناسها الطيبين, يقول محمد شجاع مستذكراً قريته (الرشيدة):

حنيناً أذوب إلى موطن
عليل النسيم يداوي العلل
إلى ضيعة ما لها من مثيل
عذاب فراقها لا يحتمل
على جال وادي الشآم العميق
تقوم كما الحصن شرقي الجبل

تجاور قرية الشاعر قصر امرئ القيس في النمارة:

فتلك النمارة تاريخها
على امرئ القيس حال تدل
مقيضه غربٌ بفصل الربيع
ومشتاه شرق لدفء المحل
وقبره فيها وآثاره
باريس أكثرها قد نُقل
وخُط عليها بحرف قديم
هنا ملك العرب لاقى الأجل

وشاعر آخر غنّى لقريته ملح في الجنوب الشرقي من السويداء، يذكر ببعض ما كان من ماضيها، قال نصر أبو إسماعيل:

ملح الماضي تصحو فجراً
لا تشرب قهوتها إلا في حقل الحنطة
أو بين دوالي العنب الريان لتستل الخبز الدامي

جرير

من أهداب النار الحمراء
وتكحل عينيها يوماً بالغار ويوماً بالثلج
وأياماً برمل الصحراء

ولسعيد أبو الحسن قصيدة عنوانها رسالة إلى جرير, ينبئه فيها ما صار إليه جبل الريان، بعزيمة سكانه ونشاطهم غيروا فيه إلى أن صار جبلاً يانعاً بالخضرة غنياً بالثمار من كل نوع، قال:

جرير هلاّ أتيت اليوم دنيانـا
كي ترى جبل الريان ريانـا
كسا من الخضرة الغناء أروعها
ومن أزاهرها المعطار ألوانا
كجنة الخلد فيه كل فاكهـــــة
تشفي وتسكر أدواء وأحزانـــا

وفي مكان آخر من القصيدة :

واجلس على كتف الوادي وخذ نفساً
من العليل الذي يأتيك جذلانـــا
ينسيـــك تلـــك التي هبّـــت «مذكرة
عند الصفاة التي شرقي حورانا»

ومن هذه القصيدة ذات الأربعين بيتاً:

جرير ليتك تلقي نظرة عجـــلاً
كالنسر يشرف من فوق أم حورانا
ترى السويداء غرباً في رزانتهـا
قامت على هضبة البـركان بركانـــا
ترى القليب على يسراك منتصباً
وعن يمينك حدّق تلقَ شيحانـــا
واستعرض الكفر جنات معرّشة
آلئاً مشرئبّات ومرجانـــــا

يذكر جرير بصلخد وخمرتها, وببلدة الشاعر عرمان:

وما أظنك تنسى صرخداً أبداً
فأنت من خمرها ما زلت نشوانا
وما أظنك تأبى أن تجاملنـــي
فطف بقريتي الشماء عرمانـــــا

القليب والريان وشيحان وأم حوران أسماء تلاّت، في مواقع معروفة في محافظة السويداء. والسويداء وصلخد والكفر من مدن المحافظة وبلداتها, ومثلها عرمان بلدة الشاعر.

حوار مع الكاتب والمترجم المصري المعروف فؤاد كامل

أبعـــاد فلسفـة الأدب والموسيقى

حاوره: حسب الله يحيى

بعد ربع قرن من العمل والإشراف المباشر على البرنامج الثاني في الإذاعة المصرية.. وبعد(50) كتاباً – مؤلفاً ومترجماً.. مازال الأستاذ فؤاد كامل يساهم في رسم خارطة الحياة الثقافية بجهد مكثف، وانتباه عميق، وجدية في انتقاء الكتب التي تخاطب العقل العربي..

وقد ظل يحرص على تأليف الكتب وترجمتها، تلك التي يمتزج في صفحاتها فعل الأدب والفن والفكر.. فما هي الأسباب التي تكمن أمام هذا الحرص؟

يجيب الاستاذ فؤاد كامل قائلاً:

هذا انتباه صحيح لمؤلفاتي وترجماتي.. نعم، أنا أهتم بالكتب الفلسفية التي تشيع فيها روح الفن.

في الترجمة كثفت جهودك على تقديم الفلسفة الوجودية؟

- نعم ترجمت العديد من الكتب الفلسفية الوجودية؛ لأن معظم الفلاسفة الموجودين يحاولون أن يجسدوا آراءهم ونظرتهم للحياة في أعمال فنية..

لكن الآراء الفلسفية وردت في أعمال أدبية لغير الوجوديين؟

- مثل هذا الاتجاه قليل في المدارس الفلسفية الأخرى؛ الفلاسفة لا يكتبون أعمالاً أدبية وفنية.. فلا نتصور أن كانط أو سبينوزا يؤلفان مسرحية تهمنا؛ فيما نجد سارتر مثلاً يؤلف مسرحيات وكذلك، جابريل مارسيل يعبر عن نفسه في مسرحيات عدة، وقيمة أعماله الفلسفية لا تقل قيمة عن انتاجه الأدبي.

ولهذا ترجمت له وحده ست مسرحيات؟

- نعم.

وقد كتب عدد من الوجوديين يومياتهم.. مارسيل وكير كوجورد.. كتبوا يوميات فيها رؤية ميتافيزيقية فلسفية؟

- نعم.. إنها محاولة للتعبير.. إنهم يقدمون الفلسفة عبر الفن. والفن برؤية فلسفية.

برنارد شو واتجاهه (الفابي) ألم يلفت نظرك؟

- برناردشو.. سياسي أكثر منه كاتباً فلسفياً.. لذلك لم يقدم نظرة إلى الوجود.. ورؤيته لا ترقى إلى الفلسفة باعتقادي.

وقصص هرمان هيسه التي ترجمتها؟

- الكاتب الالماني هرمان هيسه.. أحببته لأن في أعماله الأدبية تشيع روح الشعر والفكر العميق..

ولكن ليست فلسفة بمعناها المحدد؟

هيسه، مفكر دائب البحث عن الحقيقة وعن نفسه وعن ذوات الآخرين، وهذا مانراه واضحاً في روايته (سدهارتا) التي ترجمتها.

(سدهارتا) ترجمت في العراق والأردن.. كذلك؟

- لقد ترجمتها أول مرة عام 1983 في القاهرة ونشرت أساساً في مجلة (الإذاعة والتلفزيون)، لكنها لم تظهر في كتاب مستقل بترجمتي.. وهذا لايعني التقليل من شأن الترجمات الأخرى.

قرأت لك ثلاثة كتب ترجمتها للمفكر السوفيتي برديايف.. ما سبب اهتمامك بمؤلفاته؟

- برديايف – وجودي متصوف من الدرجة الأولى، وقد استهوتني فلسفة الثورة التي نادى بها.

لكنها ثورة روحية.. أكثر منها ثورة فكرية!

- نعم.. هذا صحيح، فلقد ثار برديايف على طبقته الارستقراطية النبيلة التي يوجد فيها أمراء ونبلاء..

واختار الاتجاه الاشتراكي.. ثم تنكر له.

- نعم.. برديايف فعل هذا.. فبعد نجاح الثورة الروسية ثار على الاتجاه الاشتراكي.. ووجه نقداً لاذعاً له، لأنه يعتقد بأن الاشتراكية لا تنجز بصورة واحدة مستقرة وينتهي الأمر.. وهو يعتقد بضرورة أن يكون هناك نقد مستمر.. وقد أثار هذا النقد السخط عليه.

لكنه كان عضواً في مجلس السوفييت الأعلى؟

- نعم.. ولكنه أقر فيما بعد في المانيا ثم في فرنسا.. واهتم بالمذهب الوجودي.

برديايف اهتم أساساً بطروحات مارتن هايدجر الذي يعده جارودي أول من أدخل الفلسفة الوجودية إلى فرنسا؟

- هذا صحيح.. وقد عاش برديايف في فرنسا عيشة اللاجئين.. وقد عقد اجتماعات أسبوعية في منزله بضاحية كلامار؛ وكان يحضرها كبار المفكرين والفلاسفة والسياسيين المقيمين في فرنسا.

معنى ذلك أنه كان على علاقة وطيدة بالحركات الفلسفية المعاصرة في ذلك الحين؟

- نعم.. كان شديد الالتصاق بتلك الحركات.

في الكتب التي ترجمتها لبرديايف.. هناك تأكيد على الحرية.. برديايف شديد الحرص على المعنى الفلسفي للحرية؟

- نعم، وهذا سر إعجابي به.

لقد دافع برديايف عن حرية الروح؟

- إنه يؤمن بانطلاق تلك الحرية فعلاً.. ويعدها موضوعه الأثير.

وهو يبحث عن العلو.. والتجاوز.

إن رغبة برديايف دائبة إلى العلو على ذاته، وتجاوز كل ما يصل إليه في تطوره الروحي الصاعد دائماً إلى أعلى، كان يملك أسلوباً فنياً في الكتابة. يمتاز بالحرارة والتدقيق.

بريادیف.. شاغله الأساس.. الحرية؟

- تستطيع أن تسميني برديابيفياً مع الفرق بيني وبينه.. إنه (أسير الحرية) وقد ألف عنه مفكر فرنسي كتاباً أطلق عليه عنوان (أسير الحرية)، كما سمي برديايف كذلك (نبي العصور الحديثة)، وأنا شخصياً مهموم بهذه المشكلة منذ صباي، ومن هنا كانت عنايتي بها.. وقد ترجمت بهذا الخصوص كتاباً لجوليفيه بعنوان (فلاسفة وجوديون)، كما ترجمت العديد من أعمال هايدجر وسارتر ومارسيل.

وهل ترجمت رواية (الأمل) لأندريه مالرو؛ لأنها تتناول ذات المشكلة (الحرية)؟

- بالتأكيد.. كما أصدرت كتاباً بعنوان (الشخصية بين الحرية والعبودية) وفيه عرض لفلسفة برديايف عن الحرية.

هل يمكن القول إنك تعتنق فلسفة برديايف؟

- نعم، إنني اعتنق وأومن بها إيماناً قوياً، وفي نيتي التفرغ لترجمة كتابين لبرديايف هما (مصير الإنسان) و(البداية والنهاية).

وهل تختلف نظرتك إلى الحرية عن نظرة سارتر؟

- نعم تختلف.. ذلك أن سارتر يؤمن بأن الحرية لا تقود إلى العدم وتحطيم الإنسان نفسه وأراد هذه الحرية. إنه اولاً يعتقد أن الاتصال بين الأنا والآخرين مآلها الإخفاق، كما أنه يعتقد بعد تلك المحاولات التي أراد بها أن يحتفظ الانسان بحريته، وقد اعترف بأن الإنسان يملك حماسة لاغناء فيها ولا جدوى منها، على حين أن الحرية التي أؤمن بها تدفعني إلى الخروج عن ذاتي والاتصال بالآخرين وعقد حوار معهم، كما تدفعني في نهاية الأمر إلى محاولة الاتصال بالأنا المطلق.. على أن سارتر لا يعتقد بذلك.. وهو تصور متناقض بحد ذاته..

-هذا التناقض – كما أعتقد – يقوم على أن رأي سارتر في أن الوجود قائم في ذاته، وأنه الوجود لذاته.. وتلك حالات الاستحالة.. أليس كذلك؟

- نعم.. فسارتر يحيط نفسه بالسمو، وتلك محاولة تقضي عليه بالفشل؛ أما الحرية التي أؤمن بها، فانني أؤسسها على إمكانية الحوار بين الأنا والآخر؛ سواء كان إنساناً أو كان الأمر الذي هو الأنت المطلق..

الحوار في مثل هذه الحرية لاتتخذ مضمونها الحقيقي إلا في التواصل وحب الغير..

هل كتبت في هذا الميدان؟

- لي كتاب مؤلف بعنوان (رد على إلحاد سارتر).

هل تعتقد بأن ما ذكرته هو السبب في أفول نجم الوجودية؟

لا يمكن أن أقول بأنها قد أفلت أو ازدهرت، لأنها نزعة إنسانية كانت موجودة في الإنسان كالرومانسية.

الرومانسية شعور وجداني.. والوجودية فلسفة تعتقد بأن الوجود سابق على الماهية..

- لكنهما معاً يحملان رغبة حميمة في معرفة الغاية من الوجود والبحث عن معنى الحياة بوجه عام، إنها فلسفة تشكل اهتماماً بالمصير الإنساني، وأعتقد أن كل فيلسوف ينبغي أن يكون منشغلاً بهذا المصير.

من البديهيات أنه لا يمكن أن تقوم فلسفة بمعزل عن الانشغال بمصير الإنسان..

- بالتأكيد.. إنه مصير يتعلق بمصير الفيلسوف نفسه كذلك.. وهذا هو أساس التفرقة التي أقامها مارسيل بين السر والمشكلة.

ولكن هناك فلسفات تهتم بحل المشكلات الموضوعية، ولا تكون الذات التي تنكر عنصراً أساسياً فيها..

- هذا طبع العلم.. أما الفلسفات التي تنشغل بالسر فهي التي يمكن أن نطلق عليها فلسفات وجودية، لأنها تهتم بالموقف الإنساني الذي يكون فيه المفكر هو نفسه متورطاً فيه.

غير أن الوجودية ازدهرت فترة من الزمن.

- إن ازدهارها كان بسبب المواقف المختلفة والمآسي والأزمات الروحية التي وقع فيها الإنسان المعاصر بين الحربين، وبعد الحرب العالمية الثانية.. لأن انشغال المفكرين بمصير الإنسانية.. أحدث الانعطاف إلى داخل الإنسان.

هل يمكن تحديد الفرق بين (المشكلة) و(السر)؟

- المشكلة يمكن أن تتقدم فيها خطوات في سبيل الحل، وأما السر فيظل شاغل الإنسان حتى يحدث له نوع من الحدس الخلاق أو الرؤية الشاملة.. إنها نوع من الاستنارة اللحظية التي حدثت لكبار الفلاسفة.

ماهو حافز الفلسفة والكتابة.. هل هو حافز التمرد أم وجود تصدع في الحياة الاجتماعية؟

- أعتقد أن الحافز الأساسي للفلسفة وللكتابة هو وجود تصدع في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكر، يثير نوعاً من القلق في النفس الحساسة؛ لذلك يتجه الكاتب لتشخيص هذا التصدع وتصويره في أعمال مختلفة للخروج بمحاولة للعلاج، للبرء من الآفات الاجتماعية والرغبة في الإصلاح..

معنى هذا أن دافع الكتابة.. الانتباه إلى وجود فيه خلل؟

نعم، الكاتب يعتقد بأن مهمات رسالته أن يغير بشكل أو بآخر، أو بمعنى آخر هو الهوة القائمة بين الحلم والواقع، بين مايحلم به الإنسان من حياة ومثل عليا، وبين واقع مرير مختل، متصدع لايجد فيه مثل هذه المثل، ولا يجد فيه سبيلاً إلى تحقيقه، فهو لابد أن يكون ساخطاً وغير راضٍ عن نفسه وعن المجتمع الذي يعيش فيه، وكثيراً ما يشعر الكاتب أو المفكر بأنه قد قذف به في عالم غير العالم الذي كان ينبغي أن يعيش فيه، من هنا كان الكلام والعصر الحديث يتحدث عن مشكلة الاغتراب والغربة والنفي..

نعود إلى الفلسفة والأدب.. هل ترى بأن التحامهما يغني الرؤية الإنسانية بآفاقها العامة الاوربية؟

- أعتقد أن الأديب الذي يريد لأدبه البقاء.. لابد أن يحمل رؤية خاصة نحو الانسان والكون بوجه عام.. رؤية للمشكلات السياسية والاقتصادية في عصره، لكي تأتي هذه الرؤية في قصصه وأشعاره معبرة عن العصر الحديث الذي يعيش فيه، ويحدد موقفه منها.. إلا اذا كان كاتباً يستهدف الترويج والتسلية.. وهو ليس فناناً بالمعنى الدقيق.

هل يمتلك أدبنا العربي باعتقادك خصائص العلاقة بين الأدب والفلسفة؟

- بعضه.. فأدب نجيب محفوظ من الصعب وضعه تحت بطاقة معينة، ولكن من المهم أن نجد هذه العلاقة متناثرة في العديد من أعماله.

الا إنها متغيرة دائماً..

- لماذا لا تقول متطورة.. تتعمق إلى أن تصل إلى رؤية ميتافيزيقية، وهذا ما نجده مثلاً في روايتي (الشحاذ) و(أولاد حارتنا).

وبعض أعماله سجلت أحداثاً تاريخية؟

- نعم.. إنها مرحلة تسجيل الأحداث التاريخية وتحولاتها في حياة المجتمع.. ثلاثيته تنحو هذا المنحى، لكن روايته (العائش في الحقيقة) عن أخناتون تتجه نحو رؤية ميتافيزيقية، وكذلك (الطريق)، كما نجد ذلك في أدب إدوار الخراط وبهاء طاهر في معالجة المشكلات الفلسفية..

هناك نزعة إنسانية.. ولكن لا يمكن أن تنطبق عليها رؤية فلسفية؟

- الانشغال بالهموم الإنسانية العامة، والخروج من الخاص إلى العام هو ما نطلق عليه النزعة الإنسانية، وعالمية النزعة التي لا تخص

البقية.....ص22

الشرق بين شاعر وناثر
«خليل مطران» و«أمين الريحاني»

صلاح الدين يونس

خليل مطران 1872- 1949، شاعر نهضوي تجاوز شعرية النهضة، فقد تحرر من عبء «الإحيائية» التراثي، ورغم تحرره ذاك حافظ على وحدة القصيدة، والمحافظة في حينها مهمة مزدوجة: فمن جهة تعني التوافق بين البنية الفنية وبين الثقافة العربية التي أحيتها قصيدة الانبعاث من خلال الأعلام: «البارودي، شوقي، حافظ إبراهيم»، ومن جهة أخرى حملت القصيدة المطرانية توافقاً آخر، وهو الاتّساق بين الثقافة الفرنسية المحصلة لديه وبين الشكل الإحيائي للقصيدة العربية، وعلى الأخص في شعره القصصي، وكان لشعره القصصي دور تنويري على مستويين: الأول سياسي وهو مواجهة الاستبداد الشرقي (الفارسي، العثماني، العربي)، والثاني إخراج القصيدة العربية في مرحلة ما بعد «الإحياء» أو «الانبعاث» من هيكلية عمومية متوارثة ثابتة لا تقبل التجريح أو التعديل، إلى وضع فردي متحول تبعاً لموضوع يقاربه الشاعر مقاربة ذاتية.

ومن لازم القول على سيرته الذاتية: أن ترجماته عن الآداب الأوربية لعدد من المسرحيات لم يكن بقصد الترجمة وحسب، وإنما أراد أن يُطلع القارئ العربي على الأجناس الأدبية التي تستطيع المساهمة أكثر من الشعر في تحرر الشعوب وكفاحها الطويل لتحقيق أحلامها في الحرية على أنواعها: السياسية وغير السياسية، ومن أهم المسرحيات المترجمة «عطيل، مكبث، تاجر البندقية، هاملت» لشكسبير، ومن آثاره غير المترجمة «ديوان الخليل، النيرونية، الأسد الباكي، آثار بعلبك» وبعلبك مولده ومنشؤه؛ ولأنه تفرّد ببعض الخصائص الذاتية عن شعراء مرحلة الإحياء والنهضة، ولاسيما في تحصيله الثقافي من الشرق القديم والغرب الحديث، فقد استحوذ على لقب «شاعر القطرين»، ويعني الشام ومصر، فهجرته من لبنان من العسف العثماني كغيره من رواد النهضة إلى باريس، ساهمت في ابتنائه لفضاء سوسيوثقافي، وفي هجرته المعاكسة من باريس إلى مصر؛ عاش المناخ الثقافي لمرحلة ما بعد نابليون ومحمد علي باشا، عاشها جدالاً وجدلاً، وهما ثنائيتا مصر ما بعد الانقطاع عن أحادية المرحلة العثمانية.

ولم يعش في مصر ضيفاً محايداً؛ إنما انتظم في البنية الثقافية للنهضة المصرية في طورها الصاعد، فقد عمل في الصحافة, ثم تولى إدارة «الفرقة القومية»، ثم عمل في حقلي: الاقتصاد والزراعة، ومن هنا يعدُّ خليل مطران فاصلاً بين مرحلتين في الشعر: مرحلة البعث البارودي, ومرحلة الاتجاهات الجديدة «الحديثة» فيما يلي المرحلة المذكورة, واصلاً بين الشعرية العربية وبين الآداب الغربية...

ومن معالم نخبويته السياسية والفكرية اتجاهه إلى الشعر الوجداني، والاتجاه ذاك كان يعكس الاتجاه السائد لشعراء «الإحياء» الذين اتجهوا إلى «التاريخ» والخلاف بين مطران وشعراء الإحياء –هنا- يستحضر التخالف بين الاتباعية والرومانسية الغربيتين حول إحلال الفرد وإزاحة التاريخ، وقد صرّح «مطران» في ديوانه المطبوع 1908-1910 «بمشروعه» من الشعر الوجداني.

وديوان الشاعر مطران حافل بالموضوعات الخاصة والعامّة؛ فمن الخاص «الموت، الحب، الوجدان، المرأة»؛ ومن العام «القومي، الاجتماعي، الطبيعة، الأمة، الأرض، التاريخ». وقد شُغل الشاعر بموضوعة «الشرق» على أن الشرق ليس نقيض الغرب، كما هو مروي في الأدبيات السياسية، ولكن على أساس من المناخ الجيوسياسي، وهنا نشير إلى صورة الشرق التي رسمها الغرب في أدبياته المعاصرة ((إن الشرق هو اختراع غربي، تمّت صياغته عبر مراحل مختلفة ومتعاقبة بطيئة داخل الثقافة الغربية، ويُشير هذا الاختراع إلى مراحل تحولات الوعي الغربي بذاته... فيكون إدراك الغرب للشرق قائماً على نظام الصورة المتنوعة التي تعكس الصراع السياسي والتاريخي في العالم الغربي... إن صورة الشرق تحدد الانتقال الحاسم في الغرب من الكوسموغنية الدينية إلى الكوسموغنية السياسية، وقبل أن ينكمش الغرب عند حدود وعيه الذاتي وجد في الشرق علاجاً وترياقاً))1.

فليس الشرق -كما يدعي صاحب النص السابق- ولكن الإدعاء هذا يحدد جانباً مهماً من الثنائية الضدية «شرق، غرب»، ولا يُفصح عن مفهوم الشرق كتاريخ متقدم على الغرب في الوجود الحضاري والاقتصادي.

أما الشرق عند خليل مطران فيبدو _رغم تعميمه_ مخصصاً، والتخصيص هو الشرق الإسلامي في الطور العثماني الجامع بين الجهل قياساً على الغرب وبين الاستبداد، ومن خلال انتقاداته للشرق ودعوته له إلى التحرر من داءي: الاستبداد والجهل، يكتشف المدخل إلى التحرر والولوج في العصر، لنقرأ معه:

بني الشرق فلنفقه حقيقة حالنا
لننجو أو يُقضى القضاءُ المجسَّمُ
يصول علينا الجهل غيرَ مُدافَعٍ
بجيشٍ له في كل ربعٍ مُخَيّمُ

الخطاب الصادر إلى «بني الشرق» لم يكن حالة طارئة، فمعظم رجالات النهضة، وعلى الأخص «الشعراء»؛ وجهوا النداء إلى الشرق وكأن الدعوة القومية لم تكن قد ارتسمت خصوصيتها في مخيلة الشعراء، وإنما كانت النداءات تتم على الأغلب بعبارة «بني يعرب» «أيها العرب» «دولة العرب»؛ فمن الأول وجه جميل صدقي الزهاوي العراقي 1863- 1936 نداءه إلى بني يعرب محارباً الاستبداد العثماني داعياً إلى التحرر، وعلى الرغم من دراسته للفلسفة في استانبول التركية؛ إلا أنه أكثر الشعراء محاربة للأتراك، بعد أن رأى وحشيتهم، لكنه من قبل كان داعية للترابط العثماني العربي تحت شرط الإسلام، وقد مدح السلطان عبد الحميد في إثر صراعه مع «الكفار» في القرم:

لسلطاننا عبد الحميد سياسة
طريقتها في المعضلات هي المثلى
نهنيك بالفتح العظيم الذي به
تسامى منار للشريعة واستعلى

وأكثر نصرة للمرأة، يقول الزهاوي في إثر إعدام الحاكم العسكري التركي جمال السفاح للأحرار العرب في دمشق وبيروت 1915:

بني يعرب لا تأمنوا الترك بعدها
بني يعربٍ إن الذئاب تصول
ولن تسكن الأيام عن عصبةٍ جنوا
ولكن بما كالوا ـ إذن ـ سنُكيل2

ومن الثاني النداء الذي وجهه إبراهيم اليازجي 1847-1906 للصحوة من الطغيان العثماني، يقول:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركبُ
أقداركم في عيون الترك نازلة
وحقكم بين أيدي الترك مغتصبُ3

خليل مطران

ومن الثالث «دولة العرب» كتب أديب إسحق 1856- 1885 السوري تحت عنوان دولة العرب، ((شعلة سرت من الحجاز فأثارت الشام والعراقين ومصر والمغرب والهند واتصلت بأطراف الفرنجة فملأتها نوراً وناراً... ونسرت من الشرق نسر الرومان، ونشرت على مصر أعلامها وضربت في الأندلس خيامها... ألم يكن في كل هذه الأقطار نفر من أولي العزم تبعثهم الغيرة والحمية على جمع الكلمة العربية))4

واللافت المثير أن اللغوي المعروف مصطفى صادق الرافعي 1880- 1937 قد سار بعكس الاتجاه النهضوي الداعي إلى التحرر من الطغيان العثماني، فالرافعي وجد المشكلة مع الغرب، فكتب تحت عنوان يا شباب العرب ((يا شباب العرب أنقذوا فضائلنا من رذائل المدينة الغربية تنقذوا استقلالنا بعد ذلك وتنقذوه بذلك... أيها العربي إن الدينار الأجنبي فيه رصاصة مخبوءة... يا شباب العرب لم يكن العسير يعْسَر على أسلافكم الأولين... أتعرفون السر... السرُّ أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق فصاروا عملاً من أعمال الخالق... علمهم الدين كيف يعيشون في اللذات السماوية التي وضعت في كل قلبٍ عظمته وكبرياءَه)).5

لا يُخْفي الرافعي في أي مجال يطرقه نزعته الإسلامية الطاغية على فكرة «الشرق» و«الغرب» عند غيره من شعراء النهضة وكتابها، والانشغال عند الآخرين بالنزاع الأيديولوجي مع الحكم العثماني كان معظمه بأدوات الثقافة التنويرية التي حصّلها النهضويون، وكانوا يرون أن نقطة البدء تكمن في الفصْل بين الرابطة الدينية والرابطة القومية، أما الرافعي وأديب إسحق فكانا عاملين على التأصيل الإسلامي بصرف النظر عن الموقف من الدولة العثمانية.

وفي متن القصيدة «أقلعوا عن نقائصكم» لمطران جانب مثالي أساسه التربية المسيحية الشرقية والمنسجم مع «القيميات» الإسلامية...

ويعوزنا الإخلاص في كل مطلبٍ
ويعوزنا الخلق المتين المقوّم
ونرتاح دون الصدق والصدق متعبٌ
إلى الإفك عمّا لا نُكِن يترجِمُ
ونعزم عزماً كل يوم فينقضي
بلا أثر، من لم يُطق فيمَ يعزم؟
هامات آمالٍ بها الكون ضائقٌ
ورنّات آلامٍ بها الجو مُفعَمُ

أمين الريحاني

وما تحتها إلا رؤى من فراغها
طغت ومنىً من وحيها تتكلم
أهذا الذي نعتدُّه من تيقّظ
لإصلاحنا المرجوّ أم نحن نحلمُ

ما من شك أن «القلق الوجودي» كان شاغلاً لمفكري النهضة وشعرائها؛ فالراهن الذي عاشه النهضوي «لا يرضي وجوده المتطلع إلى التاريخ، ولا يرضي أحلامه في التطلع إلى الوجود الجديد، وجود سياسي وحقوقي وثقافي وازدهار عمراني على شاكلة الأمم المعاصرة، ولذلك نجد ظاهرة «الرفض» مقترنة بظاهرة «التقريع»، والظاهرتان تحيلان إلى «الحلم»، والحلم النهضوي مشروع من حيث هو سؤال تاريخي؛ كيف لنا التجاوز وكيف لنا البناء وكيف لنا الحرية؟ والشاعر إذ يطرح التساؤل لا يمكنه «التحليل والتركيب» في المسائل الوجودية كما تنبغي للمفكر الكاتب، ففي السياق نفسه يكتب الأديب والمفكر النهضوي أمين الريحاني 1876- 1940 تحت عنوان «أسباب تقهقر الشرق»: ((وإذا ما بحثنا أسباب التقهقر في الأمم الشرقية إجمالاً نجد أهمها في ثلاثة: الجهل والكسل والادّعاء، الجهل أولاً وهو الظلمة بعينها، الجهل هو الظلم والعبودية هو التعصب و الخرافة، هو الطاعة العمياء، والكسل ثانياً هو الجمود بعينه، هو القناعة والفقر؛ أما الإدّعاء فهو تلك المظاهر الاجتماعية التي تكاد تكون محض شرقية؛ أي مظاهر الفخفخة والأبهة)).6

بطبيعة الحال لم يكن «الشرق» عند الريحاني مصطلحاً كما هو في الثقافة الغربية «مطابقاً»؛ فالمركزية الغربية على مستويي الثقافة والسياسة مرت بمراحل؛ أهمها الصراع الصليبي الإسلامي، ثم مرحلة الصراع العثماني الأوربي، ويمكن أن نرى في الصراع العربي الإسرائيلي المرحلة الثالثة للتركز الغربي تجاه الشرق... أما الشرق عند دعاة النهضة -من المتنورين المسيحيين- فكان يقع ضمن الإشكاليتين السابقتين؛ إذ لا خلاف بين نهضوي وآخر على ضرورات التجاوز والإقلاع باتجاه العالم الجديد، لكن الخلاف على «الكيفيات» التي تُسلك للانعتاق من سطوة «الغفلة والسكون» والسؤال المنبثق من أين بدأت الغفلة؟ لم يحدد الأدباء لحظة الانكسار؛ فعهود الانحطاط السياسي بدأت من سقوط بغداد 1258م؛ لتبدأ عهود الدول المتتابعة، ثم لتبدأ المرحلة العثمانية 1516 والمرحلتان أقصتا المراكز العربية التقليدية عن الريادة التاريخية،

ونعني «الشام، العراق، مصر»، وفي إثر ذلك ينتقل المركز العربي –تحت الشرط الإسلامي المدَّعى- إلى الأستانة العثمانية، وفي الأستانة لغة أخرى ومشروع آخر، وما كان للمماليك ولا للعثمانيين همّ رعاية الشعراء ولا إجازتهم؛ ولم يعنوا للعثمانيين شيئاً، ومن هنا جاء قول ابن نباتة المصري: 1287 – 1366 راثياً للشعراء نادباً نفسه.

أسفي على الشعراء إنهم على
حالٍ تثير شماتة الأعداء
خاضوا بحور الشعر إلا أنها
مما تريق وجوههم من ماء7

وعلى الرغم من «النظمية» عند مطران، إلا أن شعره لا يرقى إلى نثره، لكن الشعر هو الوسيلة الأقدر على التعميم؛ فالذائقة العربية تميل إلى الشعر وتقبل عليه، وتصغي للنصيحة منه أكثر من النثر، ولهذا عمد مفكرو النهضة كاليازجي، والزركلي، وجبران، ومطران، إلى الشعر كوسيلة يواصلون بها العامة من دون إهمال الخاصة، ويكاد الخطاب الشعري النهضوي يكون متناسخاً من بعضه، والفرق الفارق هو في إجراء اللغة، يتابع مطران في القول وكأنه اليازجي في مقولته «تنبهوا... واستفيقوا...»

إن تصطخب منا النفوسُ وتضطرب
لخطب نخَلْ أنّا أمنّا فنجثمُ
أفي ظنكم أن المحاق يزيله
عزيف بآلاتٍ وغوغاء تنأم
أشرط المعالي أن نقول «بودّنا»
ويمنع إزماعٌ ويُحبس درهم
إلى أي حين في ونىً وتقاعسٍ
تُدفّعنا الدنيا أماماً ونحجم
إلى أي حين في قِلى وتخاذلٍ
وشملٍ شتيت والعدا تتحكم؟
إلى أي حين والصروف زواجر
نعيش كما يقضي علينا التوهم؟
شموخ بلا معنى وطيش بلا مدىً
وبينهما أمصارنا تتهدّمُ

يحاول رجل النهضة إثارة الهمم، وهي عادة مألوفة عند العرب في اللحظة الفارقة التي تهدد الوجود، ومن نافل الاستذكار ما قاله هانئ بن مسعود الشيباني لحظة التهديد الفارسي، وقد جمع الناس لمواجهة الخطر الخارجي «كسرى فارس»، يقول: ((هالك معذور خير من ناج فرور، الحذر لا يمنع من القدر، والصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استتباره، جدّوا فما للموت من بد، أسمع صوتاً ولا أرى قوماً، شدوا واستعدوا وإلا تُشدوا...))8

وقد لاقى لقيط بن يعمر الإيادي –شعراً- نداء ابن مسعود، طالباً الاجتماع على العدو والإجماع عليه محذراً من التواني، يقول:

يا لهف نفسي إن كانت أموركم
شتّى وأبرم أمر الناس فاجتمعا
أحرار فارس أبناء الملوك لهم
من الجموع جموع تزدهي القلعا
بلّغ «إياداً» وخلّل في سراتهم
أني أرى الرأيَ –إن لم أعصَ- قد نصعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم
وجدّدوا للقسيِّ النبل والشرعا9

ما من شك أن «مطران» كان مطلعاً على قصة «النعمان» ملك الحيرة مع كسرى فارس، تلك التي جرّت على القبائل العربية حرباً لم يكونوا مهيئين لها، رغم أن النتيجة في صالحهم كما تروي المصادر؛ فالخطبة المسجوعة لهاني الشيباني يوازن فعلها فعل القصيدة المنظومة للقيط، بل أبلغ؛ ففي لحظة المواجهة الكلام المباشر هو الأفضل، وفي القضايا المعاصرة، كان النثر أبلغ من الشعر كفعل ثقافي؛ فهو أقدر على حمل المشروع.

وتبدو القصيدة «الإحيائية» –مهما حاولت الابتعاد عن فكرة الانبعاث والاستعادة- تبدو واقعة في أوهام الأحداث التاريخية التي أرخ لها الشعر، والفارق الأسلوبي لا يُلغي التوافق الرؤيوي رغم الفارق الزمني...

وفي «المعضلة» النهضوية «العلاقة مع الغرب» يفصح خليل مطران عن وعيه السياسي والاقتصادي والثقافي لهذه العلاقة مبتعداً عن الرافعي وأديب اسحق ابتعاد التنويري عن السلفي، يقول:

نحارب هذا الغرب فكراً ونيّةً
ويضحك منا والحصافة تلطم
مِن الغرب ما نُكسَى لنَستر عُرينا
و منه شراب نصطفيه ونطعم
ومنه معدّات الجلاد التي بها
ندافع عنا منه مَن يتقحّم
وفي كل يوم تبدو للعلم آية
وفي كل يومٍ منه فنٌّ متمِّمُ
نقائص فينا لم أعدِّد جسامها
ولكنني عددّت ما هو أجسمُ
فإن بقيت فهي التأخر لم يزل
وإن تُقلعوا عنها فذاك التقدّم

تكاد «الشعرية –هنا- أن تكون نثراً مألوفاً، وكأنه في حالة حوار تربوية؛ فرجل النهضة لا يغادر أستاذيته، وقد وفدت إليه هذه القناعة من إحساسه بنخبويته المسؤولة في الموقف التاريخي الغارق بين سكونية الراهن وقلق النخبوي نحو الوصول إلى مشروع التقدم، فـ«الغرب» –هنا- ليس بديلاً عن الشرق كوضع جغرافي، وليس مقولة مسيحية ضد مقولة إسلامية، إنما هو عالم متقدم نقيض العالم الشرقي المتخلف، وقد اعتمد أسلوب «الإقناع» من خلال منجزات الغرب ليعزز صوابية الرأي، ولكن أمين الريحاني في مقاله الذي أتينا على ذكره «أسباب تقهقر الشرق»، كان أوضح في الرفض للواقع وفي الدعوة للالتحاق بالآخر المتقدم، يقول: ((المجد الباطل إنما هو في الألقاب التي ننقشها وفي المقامات التي نقدسها، وفي الوجاهات التي نبذل من أجلها المال والشرف، وفي العظمة الجوفاء التي يرتدي كل رئيس رداءها، وإن كان بالياً مرقعاً... إني أطلب انقلاباً في الحياة الشرقية عاماً، نعم إني أدعو الناس لثورةٍ فكرية تذهب بما في الأخلاق والعادات والتقاليد من فساد وسخافةٍ وعفويةٍ وضلال)).

يحدد الريحاني طبيعة الانقلاب، منطلقاً من التعميم إلى التخصيص، من «الشرق» الكلي إلى الخصائص الداخلية، ولكن لم يحدد الوسائل، ولم يعد إلى الخلف ليرى كيف انتقل العرب من السطوة الأيديولوجية «الإسلام العربي» آسيا وإفريقيا ثم إسبانيا، إلى الخضوع الأيديولوجي نفسه «الإسلام التركي» بعد أن طردهم الإسبان، ليعيشوا البؤس الفكري والانحطاط السياسي من بغداد إلى الشام إلى مراكش، وأما السلوكيات العثمانية فكانت أكثر ظلامية على الأجناس البشرية الخاضعة لها مما وسّع الاتهام –فيما بعد- عند مفكري الغرب للشرق بالتخلف والاستبداد، ومن هنا كان مفكرو النهضة المسيحيون أقرب إلى النقد التاريخي بوصفهم من أبناء الشرق ومن ثقافة الغرب بعد النهضة.

(Endnotes)

1 تييري هينيتش- الشرق الخيالي ورؤية الآخر- ترجمة مي عبد الكريم محمود- دار المدى، دمشق 2006 ص6

2 - ديوان الزهاوي، تحقيق محمد يوسف نجم، القاهرة، دار مصر 1955.

3 - ديوان إبراهيم اليازجي، دار المعارف.

4 - كتاب الدر، مقالات في موضوعات شتى كتبها في مصر والشام، جمعت بعد وفاته.

5 - الرافعي «وحي القلم- أوراق الورد»

6 - أمين الريحاني، الريحانيات.

7 - ديوان ابن نباتة، دار المعارف

8 - الكامل في التاريخ، دار الكاتب العربي، بيروت 1967م ج1 ص53 .

9 - الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار المعارف، مصر1966 ، ج1

المنفلوطي حياته وأدبه

نبيل عمر محمد البيروني

المنفلوطي

قيل إنه أبلغ كاتب في العصر الحديث من حيث رشاقة العبارة ورقة التعبير وتصوير الحوادث تصويراً حقيقياً..

وهو صاحب القلم البديع الجذاب المتفوق في الأغراض والمقاصد جميعها، حتى سمي بحق "أمير البيان".

لأسلوبه تأثيرٌ خاصٌ في نفوس القارئين كأنه يكتب بكل لسان.. ويترجم عن كل قلب.

ولد مصطفى لطفي المنفلوطي سنة 1293هـ الموافق 1876م في مدينة منفلوط، من أسرة مشهورة بالتقوى والعلم.

نهج سبيل آبائه في الثقافة، والتحق بكُتّابِ القرية كالعادة المتّبعة في البلاد آنذاك، فحفظ القرآن الكريم كله وهو في التاسعةِ من عمره، ثم أرسله أبوه إلى الجامع الأزهر بالقاهرة، فتلقى فيه طوال عشرِ سنوات علوم العربية والقرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ والفقه وشيئاً من شروحاتٍ على الأدب العربي الكلاسيكي، ولا سيما العباسي منه. ومن إقامته في الأزهر بدأ يستجيب لتتضح نزعاته الأدبية، فأقبل يتزود من كتب أبي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وغيرهم، بالإضافة إلى النثر كابن المقفع وابن خلدون وابن الأثير، وكان هذا التحصيل الأدبي الجاد، الرفيع المستوى، الغني الثقافة، حرياً بنهوض شاب كالمنفلوطي مرهف الحس والذوق، شديد الرغبة في تحصيل المعرفة.

لم يلبث المنفلوطي، وهو في مقتبل عمره أن اتصل بالشيخ الإمام محمد عبده، الذي كان إمام عصره، فلزم المنفلوطي حلقته في الأزهر، يستمع منه شروحاته العميقة لآيات من القرآن الكريم، ومعاني الإسلام، بعيداً عن التزمت والخرافات والأباطيل والبدع، وقد أتيحت له فرصة الدراسة على يد الشيخ محمد عبده.

وبعد وفاة أستاذه رجع المنفلوطى إلى بلده؛ حيث مكث عامين متفرغاً لدراسة كتب الأدب القديم، فكوّن لنفسه أسلوباً خاصاً يعتمد على شعوره وحساسية نفسه.

ولقد أجمع الذين عرفوا المنفلوطي وعاشروه على أنه مُتحلٍّ بجميع الصفات التي كان يتكلم عنها كثيراً في رسائله.

من أهم كتبه ورواياته:

* النظرات (ثلاث أجزاء). يضم مجموعةً من المقالات في الأدب الاجتماعي، والنقد، والسياسة، والإسلاميات، وأيضاً مجموعة من القصص القصيرة الموضوعة أو المنقولة، جميعها كانت قد نشرت في الجرائد، وقد بدأ يكتبها منذ العام 1907.

* العبرات. يضم تسع قصص، ثلاثة وضعها المنفلوطي، وواحدة مقتبسة من قصة أمريكية، وخمس قصص عربها المنفلوطي. وقد طبع عام 1916.

* رواية في سبيل التاج ترجمها المنفلوطي من الفرنسية وتصرف بها. وهي أساساً مأساة شعرية تمثيلية، كتبها فرانسوا كوبيه أحد أدباء القرن التاسع عشر في فرنسا. وأهداها المنفلوطي لسعد زغلول عام 1920.

* رواية بول وفرجيني صاغها المنفلوطي بعد ترجمتِها من الفرنسية، وجعلها بعنوان الفضيلة، وتسرد هذه القصة أحداثاً عدة، لعلّ من أهمها الحب العذري بين بول وفرجني، والمكافحة في سبيل أن يبقى هذا الحب خالداً للأبد في قلبيهما النديين. وهي في الأصل للكاتب برناردين دي سان بيير من أدباء القرنين السابع عشر و الثامن عشر في فرنسا، وكُتبتْ عام 1788م.

* رواية الشاعر, وهي في الأصل بعنوان "سيرانو دي برجراك" للكاتب الفرنسي أدموند روستان, وقد نشرت بالعربية في عام 1921.

* رواية تحت ظلال الزيزفون, صاغها المنفلوطي بعد أن ترجمها من الفرنسية، وجعلها بعنوان مجدولين, وهي للكاتب الفرنسي ألفونس كار.

لاقت روايات المنفلوطي وكتبه الأدبية شهرة واسعة في الأقطار العربية كلها، فطُبعتْ مرات عديدة، وتهافت الناس من كل الأعمار والأجناس على قراءتها.. لكن صاحبها لم يسلم من النقد ومن ألسنة النقاد وأقلامهم؛ إذ انقسم الناس حوله بين مؤيد ومعارض، وهذا شأن جميع الكبار في ميادين الأدب والفن والسياسة وغيرها.

أما الأديب اللبناني عمر فاخوري فكان أشد الناس قسوة على المنفلوطي، إذ

قال: إن مذهبه الأدبي غامض وآراءه في صناعة الأدب مبهمة.

وقد قال عنه العقاد إنه أول من أدخل المعنى والقصد في الإنشاء العربي. لم يعمر المنفلوطي طويلاً.. فقد وافته المنية 10 /ذي الحجة / سنة 1342هـ -1924م يوم جرت فيه محاولة اغتيال الزعيم سعد زغلول؛ حيث نجا من تلك المحاولة، لكنه جُرح جُرحاً بليغاً؛ فانشغل الناس بتلك الحادثة، ولم يلتفتوا كثيراً إلى مأتم المنفلوطي كما ينبغي.

وحين أبلغ سعد زغلول بوفاة الأديب الكبير، حَزِنَ عليه أعمق الحُزن، وذرف عليه الدموع السخية.

الغنائية في شعر مروان الخاطر.. أغنية الفرات الأزلية

محمد خالد رمضان

لابـدَّ قبل الـدخـول فـي بحث الغنائية عند مروان الخاطر من أن نلقي ضوءاً على هذه الكلمة – الغنائية – وما هي وأن نشير إلى مدلولات هذا المصطلح، وماذا يعني وبعض ميزات هذا النوع من الشعر.

الغنائية مذهب في الشعر قديمٌ وجِدَ مع وجوده، لحظناه في الأشعارِ الدينية القديمة وفي الأشعار الرعوية، وتطور عبر الأزمان المتتالية، وظل يتنقل من جيل شعري إلى آخر حتى زمننا.

وفي عصرنا أخذ سمة المصطلح الـذي أُطِّرَ وصار يدعى (بالغنائية) تمييزاً لنص عن نص. وهـو كمدلول اصطلاحي يطلق على كل شاعر لشعره صفات الطفولةِ والبراءةِ والعذرية والصلةِ مع الغناء، ولكن ليس أيُّ غناءٍ؛ بل هو غناءُ النفسِ والروح. كما يدل على طهرٍ وخصوبةٍ من نوع معين. أما هذا الغناء الذي نوهنا عنه، فهو يمسُّ شغافَ الروحِ والأعماقِ النائية للوجدان، وهو غناء شفاف. يشفُ كما النبعِ ويتلاقى معه في صفائِهِ وانسيابِهِ ورقته ومغامرته في الولوج إلى لبِ النغمِ، ثم اللعب على ألحانه بتقاسيم جذابةٍ تحمل الحنانَ والوجدَ، ولكنه ليس الوجدَ الصوفيَّ. إنما هو العشق.

فهذه الصلةُ مع الغناءِ صلةٌ وثيقةٌ تثري الشعرَ وتحليه وترسمه على الشفاه. وللشعر الغنائي عامةً صلةٌ قويةٌ بالحزنِ والتفردِ والوحدةِ والحزنِ، ليس بمعناهُ الضيقِ؛ إنما هو الحزنُ المتفردُ الذي يحسهُ الشاعرُ في حالاتٍ معينةٍ؛ هذا الحزن الإنسانيُ الراقي الذي ينأى إلى آمادٍ بعيدةٍ؛ حيث إحساسُ الشاعرِ المفرطِ يختلفُ عن إحساسِ غيرهِ، لذا يأتي هذا الحزنُ الذي يغنيهِ الشاعرُ وينثرهُ على القراءِ في رنيمٍ جمالي خاص، وهو حزنٌ دوافعهُ كثيرةٌ يأتي في مناخاتٍ عـدةٍ. وللغنائية في قصيدة التفعيلة سماتٌ مميزةٌ من أهمِها تخلصُها من الألفاظ الصعبة، والغريبة، والمتعبة، وخلوُها من الترميزات العميقةِ التي يصعبُ إدراكـها من دونَ تعمق. كما أن جملتَها ليست طويلةً، تدخلُ الوجدان من دون تشويش لقربها من روح الغناء؛ فهي قصيرةٌ تناسب الترددَ والنغمَ؛ وتتقبلُها الأذنُ عند السـماعِ؛ ويترتب على ذلـك وجـودُ الكلماتِ والألفاظِ المتجانسةِ التي تترابطُ فيما بينها، ولا تتنافرُ حروفُها، وهي الكلماتُ الناعمةُ التي لها دلالاتٌ لونيةٌ خاصة. ولها علاقةٌ بالأنغامِ والإيقاعات.

حيث توفر سكوناً للسامعِ والـقـارئِ، سكوناً ليس جامداً؛ بل مملوءاً بثراءٍ روحـي... الغنائيةُ لغةُ الوجدانِ، والقلبِ والـروحِ تنفذ إلى أعماقنا، فننصتُ إليها سامعين؛ ونحبها ونحب تفرعاتِها في مختلف لونياتِها. فيها رعشاتٌ وإحساساتٌ لا توجد في مذاهبَ شعريةٍ أخـرى، تحتل في الروح مكانةً عاليةً؛ وتلبي حاجات الإنسان الروحية الأساسية.

بعد هذا العرضِ الموجزِ عن الغنائيةِ كمذهبٍ شعري، ندخل إلى الغنائية في شعر مروان الخاطر خلال الأعمالِ الشعرية الكاملة، وهي ستةُ أعمالٍ ضمنَ ديوانِهِ الكاملِ؛ ابتداءً من الناي الجريحِ؛ ديوانهِ الأولِ حتى ديوانِه الأخيرِ (أغاني الفرات).

يمكن أن نقول إن غنائيةَ الشاعرِ مروان الخاطر في إطارها العام كأي غنائية لدى أي شاعرٍ غنائيٍّ. ولكنها في خصوصيتها لها ميزاتٌ خاصةٌ تسمُها وتفرقها عن غيرها. اكتسبتها خلال الموهبةِ واللغة والبيئة والتغرب. فهذه العناصرُ كانت من محفزاتِ الشاعرِ التي مكنته من التقاط تلك السمات وعكسِها حروفاً وألفاظاً وأبياتاً شعرية.

وخلال التوغل في شعر الشاعر وتمثل تجربته الغنية، بانت لنا تلك السماتُ؛ حيث برزت في خمسة مجالات رئيسة، هي مجمل علاقاتهِ مع المحيط وعلاقاتهِ بذاتهِ.

1 – الصلةُ بالأرض:

صلة الشاعرِ بالأرض صلةٌ حميمةٌ جداً، الأرض وما عليها، وما تحويهِ وما تنتجه؛ إذ كانت تظهر في كل قصيدةٍ؛ بل أستطيعُ القولُ في كل مقطعٍ من مقاطع قصائدهِ. فمن ديوانِهِ الأول الناي الجريحِ حتى ديوانِهِ الأخيرِ تتابع تلك الصلةَ واضحةٌ في حسٍ غنائيٍّ يدخلُ القلبَ والوجدانَ من دون أبوابٍ، ويثيرُ فيهما علاقاتٍ شفافةً رحبةً.

ففي القصيدةِ الرابعةِ من الديوانِ الأول – الناي الجريح يقدم لنا الشاعرُ الحقولَ وما تحويهِ والقريةَ بما تضمّه من بيوتٍ وأزقةٍ وساحاتٍ وأمكنةٍ للسمرِ وصورةِ الأبِ (لدَرجت مثل أبي، مع السحر الأخير يفيق يحتضن الحقولا ويعود إن رحل النهار محملاً بالحب والثمر الشهي، يوزع القبل الحميمة. يجهل السأم الطويلا..). (ص415).

كـذلـك نـجـدُ هـذه الحميميةَ الـرائـعـةَ في القصيدةِ السادسةِ وفي قصيدة (الناي الجريح) (ص438). إذ يطلعنا الشاعر على بعض قضايا الأرض حين يقول: (أنا الذي ولدت ليلة العجاج ليلة (الحالول) قد نطقت، ما خطوت، إلاَّ سنة المحل الذي نتف ريش الطيور قبل ريش الأرض ما وقف). أبعادٌ لا نهائية من لونيات الحزنِ. مع كلماتٍ من اللهجةِ الشعبيةِ الفراتيةِ المحليةِ ككلمةِ:

الحالولِ التي تعني البردَ

وفي ديوانِهِ الثالث (أصوات في سمع الزمن المقهور) تجلت هذه المعاني من الغنائيةِ في قصائدٍ عدةٍ؛ حيثُ هذهِ الصلةُ من محمولاتِ الأرضِ. في القصيدةِ الثانيةِ والخامسةِ والعاشرةِ والرابعةَ عشرة.

خلال الترابِ والأرض والخصبِ وخميلةِ القصبِ والطرفاءِ والغربِ. فمن قصيدةِ (رحلة التعب) ص 323، نقتطفُ: (وخلفت الفرات محبة، يجري وموّالاً يهزُّ خميلة القصب) فكم تشحننا هذه الأبيات، وكم تبوح لنا خميلة القصب بسحرها وتبعث فينا من الأحلام؟!

وفي ديوانهِ الرابعِ (نشيد الغربة) تتميزُ الصلةُ بـالأرضِ خاصةً في القصيدة الأولـى والخامسةِ والقصيدةِ السادسةَ عشرة. فمن القصيدة الأولى (مرثية الجسر السادس) التي أهداها الشاعرُ للأديبِ عبد القادر عياش نقتطفُ: (الدير مقاه تجتر الأشياء تتمطى صبح مساء وتصلي للمطر القادم كم حدثني.....) ثم يغني (يبكي الغَرَبُ الطرفاء) أبيات مملوءة بالحنين والحب والحزن تذهبُ بالقارئ بعيداً في مجالات الحب والشوق. خاصةً في الإيـحـاءاتِ التي يرسلُها هذا البيتُ (يبكي الغرب الطرفاء) أمَّا الديوان الخامس: (أخافُ عليك فابتعدي) فهو مملوءٌ بهذهِ الصلةِ خاصةً القصيدةُ الثالثةُ والخامسةُ.

2 – الصلةُ بالفراتِ:

نـادرةٌ هـي القصائدُ التي تخلو مـن ذكـرِ الفراتِ في شعرِ مروان خاطر إلاَّ في ديوانِهِ الثاني (حمدان). وذكرُ الفراتِ يعني الدخولَ في كنهِهِ؛ فالعلاقةُ معه علاقةٌ خاصةٌ، علاقةُ الحبِ والشوقِ والحنينِ الدائمِ، وهي تعني الحديثَ عنهُ في كل تجلياتهِ الزمانيةِ والمكانية. وفي كل حالاتِهِ وحالةِ الإنسانِ الذي يتعايشُ معهُ خلال الصيد والنزهةِ، والسمرِ، والتأمل والفيضان.

نكادُ نقولُ إن للفراتِ عيناً ترصدهُ هي عينُ الشاعر وتستكنه أعماقه. فهو الخصبُ. الماءُ. عمقُ الحياةِ روحُ الأساطيرِ القديمةِ؛ بل هو الحياةُ.

ففي الـديـوان الأول (الناي الجريح) نتبينُ في القصيدة الأولى (قلقُ) (أفقت وكل ما أهواهُ قد ذهبا، كشهقة غارق، في لجة التيار يرتجف، فينعطف على الأصداء من شط الفرات بقريتي موج قد اضطربا، يجيء إليَّ من خلل الضباب ويقلع الغربا).

تشبيهُ حـالاتـهِ بتلك الـحـالاتِ الفراتيةِ. فاضطرابُ الموج ينشرُ أصواتاً تصلُ كأصداءَ بعيدةٍ مكونةٍ أغنياتٍ فراتيةً حزينةً، صورةٌ جميلةٌ فيها إدهاشٌ وكأننا نسمعُ هذه الأصداءَ.

ونلحظُ الفراتَ في القصيدةِ السابعةِ والتاسعةِ وغيرهما من الديوانِ ذاتهِ.

وتتعمقُ هـذه الصلةُ بالفراتِ في الديوانِ الثالثِ (أصـوات في سمع الزمن المقهور) في القصيدةِ الثانيةِ والخامسةِ والتاسعةِ والرابعةَ عشرَ وغيرها فمن قصيدةِ السدُ والأطفالُ نقتطفُ (صغيرتي بادية الشام تسحُ داء، ونهرُنا الفرات كم يضنُ بـالـدواء، يجود حيناً، ثم ينثني، فلا رجاء، يجدي معان مثلما يشاءن بالقطن والحبوب، بالطرفاء والغرب).

وتستمرُ الصلةُ بالفراتِ بالتعمقِ أكثر فأكثر في الديوان الرابع (نشيدُ الغربةِ)؛ حيث تحملُ طابعاً أعمَ وأشملَ، وتدخلُ الوجدانَ من دونَ موانعَ؛ حيث تنتقلُ الأغنيةُ إلى أبعادٍ عربيةٍ أكثرَ.

وفي الديوانِ الخامسِ (أخاف عليك فابتعدي) نرى الفراتَ إنساناً مثلُنا مثلُه، ونلحظُ تطوراً أعمقَ فأعمقَ، تطوراً في أعماقِ الذاتِ اللامعروفةِ خاصةً في قصيدةِ: (مكاشفات ليلية) ص 196 – 197. نقتطف: (وفرات كان يساقينا، إن صد الأهل، وقل الماء، وتمتمت، فغاض، تكشف عن صحراء) كم يصلُ الحزنُ هنا إلى أعماقِ الشاعرِ وأعماقِ النهرِ.

يشارك النهرُ الشاعرَ أحزانه، فيجفُ أو تجفُ روحُـه، فيرى جفافَ النهرِ؛ ويشاركُ النهرَ بزخمٍ في كل الأشياءِ والمناخاتِ؛ أما المجموعةُ السادسةُ فمن عنوانِها إلى كل قصائدِها نشهدُ فيها أغنياتِ الفراتِ ونلحظ الغنائيةَ الجميلة.

فعنوانُها هو (أغاني الفرات) فأغاني الفرات هي أغاني الشاعرِ وحياتُهُ ورحلتُهُ؛ حيثُ جسدت الصلةُ مع الفراتِ هذه الأغاني، وعملت على رقيها وعلى انسجامِها وترتيبها وحملِ ألحانِها؛ فهي سمفونيةً نغميةً وصدقٌ عميقٌ للنفسِ، ويظهر ذلك في القصيدةِ الخامسةِ والسابعةِ والثامنة؛ فمن القصيدة السابعة (تغريبة السلماس) (ص 77- 78)، نقتطف: (أيـن تذهب؟ أيـن؟ جثتك الهميلة أيـن ينبذها الـرحـام؟ ورأسـك المحشو بالوجع الفراتي المغلغل. أين تفرزه الرؤوس؟).

لقد ساهم الفراتُ في مدِ اللحنِ ومنحه مُعطىً مختلفاً؛ فكأنما الوجعُ الفراتيُ يختلف عن غيرهِ من الأوجاع؛ بل هو يختلف. فالرأس يمتلئ بوجع خاص، وجع فراتي له رنينُهُ المختلفُ.

3 – الصلةُ بالصحراءِ:

الصحراءُ هذا المدّ المترامي الرحبُ من المكانِ الواسعُ الـذي تضيعُ فيه الجهاتُ؛ ويعني ذلك الجفافَ والقيظَ والرمالَ وندرةَ الشجرِ، والظعون، والنخيل والليالي المقمرة والرباب، لها صلةٌ عميقةٌ بشاعرنا؛ حيث قلما نجد قصيدةً من شعرهِ تخلو منها. وهي تأتي في شتى مناحيها وأسمائها؛ فهي حيناً الباديةُ وحيناً الفيافي وحيناً الصحراءُ، وفي قصائدَ أخرى نجد أحد مدلولاتها مثلَ بيوتِ الشعر أو العيسِ والرمالِ والخيام. كلُ هذا في سلاسةٍ وانسياب وألحان متدفقة في ألوان مختلفة. ففي الديوان الأول (الناي الجريح) نشهد صلةَ الصحراءِ القوية بالانسياب الغنائي في القصيدة الثانية والرابعة والخامسة. حيث يمكننا ملاحظة النخلِ والقهوة والظعون والقرب العتيقة وحادي العيسِ والليلةِ القمراء.

نقتطف من قصيدة (ريم) (ص417) – (أكاد أغيب، أنتعل الصدى الهامي، إذا ما قلتها: يا حادي العيس فأمضي دون فانوس إلى ديجور أيامي) إلى أن يقول: (وأخرى عند حد النجم مرمية ترددها مع العشاق وهوهة النخيل (بيلة قمرا).

كم يدخلُ هذا الغناءُ قلوبَنا ونفوسَنا بمساعدةِ

مروان الخاطر

تلك الإشاراتِ يا حاديَ العيسِ، وهوهة النخيل بليلة قمرا. وفي الديوان الثاني (حمدان) تدهشُنا العلاقةُ فهي عودةٌ إلى العذريةِ والطفولةِ يتجلى ذلك في القصيدتين الأولى والثانية من الديوان. نقتطف من القصيدة الثانية يوميات حمدان (ص378)، (يا عازف النغم المراوغ كيف طابا، ربابك المجنون أن يهوى الضبابا دع ذكر من تهوى، وعرج فالعتابا، تشفي غليل المتعبين وما سواها).

اللحن والغناء الشفاف والمرتسم الشفيف كل ذلك في ضمة لحنية عذبة ساهم في تعميقها الرباب أو الربابة تلك الآلةُ الموسيقيةُ المشبوبةُ حنيناً.

وفي الديوان الثالث: (أصوات في سمع الزمن المقهور) نلحظُ في القصائدِ رقم – 7 – ورقم – 10 – ورقم – 13 – ورقم – 14 – كثيراً من الدلالاتِ والصلاتِ مع الصحراء مثل الجمل الشعرية (تكبيل الخيام) و(عجاج هذا العام) و(الـربـاب) و(بادية الشام) وفي الديوان الرابع (نشيد الغربة) نلحظ الدلالاتِ والإشاراتِ الصحراويةِ في القصائد رقم – 1 – ورقم – 4 – ورقم – 5 – ورقم – 10 – ورقم – 14 – خاصةً في القصيدةِ الرابعة وهي قصيدة عودة الغائب نقتطف منها:

(كانت الصحراء بين الضفتين ضفة عندي وأخرى، صارت الصحراء أخرى ثم صار الرمل ملء الشفتين، كانت الصحراء تيهاً مغلقاً والسنوات الألف باب. كانت الصحراء وديان هموم، وعذاب)، غناءٌ شجيٌّ حزينٌ، وسفرٌ في عالمِ الحنينِ ساعدت الصحراءُ في تكرارِها على مدهِ ومدِ إيقاعهِ ورحلتهِ.

ونلحظ في الـديـوان الخامس (أخـاف عليك فابتعدي) كمّاً من الدلالاتِ والإشاراتِ الصحراويةِ في أغلب قصائدهِ. ويمتدُّ إلى الجمل الشعرية (للحزن بأعماق الـبـدوي جـذور واشتعلت) من القصيدة الثالثة (يأتيني الحزن عجاجاً) من القصيدة السابعة (والرمل العربي) من القصيدة التاسعة (وقفت كأطول نخلة في الأرض) من القصيدة الحاديةَ عشرَ (مفتوحة في وجهي الصحراء) من القصيدة رقم – 12 – وغير ذلك وفي الديوان السادس (أغاني الفرات) يَرِدُكم من الأسماء والـدلالاتِ الصحراويةِ الكثيرةِ كثرةً تدلُّ على مالها من أهميةٍ في الغنائيةِ في أغلب قصائد الديوان، نقتطفُ مثلاً الجملَ الشعريةَ التاليةَ: من القصيدة السادسةِ (واتركوا الخيمة للرمح فريدة) وفي القصيدة السابعة (يا سلماس أين الشيح وأين عرار بادية).

4 – الحالة الشخصية للشاعر:

حالاتُ الشاعر المختلفة وتمثلُها في شعرهِ في

شتى مناخاتها وطقوسها وضمن أزمانٍ متعددةٍ تبدأ من الطفولةِ إلى حين الانتهاء من كتابة آخر قصيدة موجودةٍ في الديوان السادس، وحالاتُهُ الخاصة العائلية، كل ذلك له علاقةٌ بالغنائية في شعره. فحالاتُ التعبِ والشجنِ والليل والدجى والحزن والتأوهِ والتحسرِ والذكرى والتذكر والعشق والهوى والجراح، ودلالات السهرِ والسمرِ وبعضِ العذابات والآلام والحنين واللوعة والأرق.

وكلُّ ذلك ينمي الغنائية في شعرهِ ويطورُها، ويعمقُ أثرها في النفوسِ، ويزيد امتدادَها وفي شعر مـروان الخاطر لم تخل قصيدة من هذهِ الحالاتِ الشخصيةِ مطلقاً؛ فمن الديوان الأولِ وهو النائي الجريحُ؛ ومنذ القصيدة الأولى نلحظُ الإشاراتِ والدلالاتِ الذاتيةِ فمن قصيدة – قلق – ص 401 – نقرأ: (وبعد التيهِ والسهرِ وركضي بين أشباحِ الدجى، واهاً على ما مرَّ أو كانا، صحوت على النهايةِ شبهَ موتور) وتتكرر كلماتُ الليلِ، والدجى تكراراً فيه كثرة ملحوظة – وتتكرر في القصائد الرابعة والسادسة والتاسعة والعاشرة والثانية عشرة والثالثة عشر. تلك الحالات والجمل الشعرية الحزينة الشجية.

وفي الديوان الثاني – حمدان ، نشهد تلك الحالات التي نوهنا عنها آنفاً في أكثرية القصائد.

أما في الديوانِ الثالثِ – أصوات في سمع الزمنِ المقهورِ – فنلحظُ غنائيةً ساعدت في إبرازِها وشفافيتِها حـالاتُ الشاعرِ الخاصة وتلويناتِها وكثرتها؛ فمن قصيدة (ما كلّ عاقرٍ مـوات) ص 318- 319 – نقرأ: (لم يبق في سفينة – الوصول – أشرعةٌ تظلل البحارة الصغاز، تهنا، تُسمرنا، صُلبنا فوق أخشاب السفينة، لم نلقِ ما يوحي بدفءٍ أو سكينة) عالمٌ من الحزن يحيطُ بالشاعر ينثرهُ في غنائية مؤثرة تدخلُ في وجداناتِنا فنحسُها حزناً شفافاً رضياً. وكذلك تتتابع هذه الغنائية في القصيدة الخامسة والسادسة والسابعة والتاسعةِ؛ فكلُّ جملةٍ شعريةٍ لها عالمُها الخاصُ بها.

أما في ديوانه الرابع (نشيدُ الغربة)؛ فنشهدُ نشيداً غنائياً خاصاً له نكهته وطعمه ولونهُ في كل قصائد الديوان. ففي كل قصائده أناشيدُ عذبةٌ عالية الغنائية تطوف بنا في مرافئ الروح وتسمو في مجالي الوجدانِ باعثة ألحانها.

نقتطف من القصيدة السابعة وهي بعنوان (ليل وأضواء):

(ناديتُ في الصوت، وانكفأ الصدى، ناديتُ وارتعش المدى، ناديت وانتشر المدى، والخيل تصهل في المرابط، ما استفاق النائمون وما..... تململت المدينة).

أما قصيدة (صديقة الملاية) من الديوان ذاتهِ؛ فيمكن أن تكون شاهداً قوياً على عمقِ الغنائيةِ لدى مروان الخاطر، وهي تقع بين صفحات – 292 – حتى 294 – من الأعمال الشعرية نوردها فيما يلي:

بباب الشيخ تستجدي
وتسأل صحبة الأمسِ المسجّى تحت أرجلهم
لعلّ سحابة تأتي
وتمطر علها تبدي
لها شيئاً يمني القلب يجبرهُ
يرد له بقايا الأمس تذكرهُ
إذا وقفت صديقة... فالدجى صبح وساهرهُ
قتيل هوى، يفيق إذا الصدى ولّى
وغاب خيال حورية
تمرُّ فتنحني الهاماتُ
تأكلها العيون الحمر في عنّية
وما نامت صديقة إنما حملت هموم الناس
(بستانٍ وبوذية).
(يا صياد السمج
صد لي بُنيّة
عجب أنت احظري
وأنا بدوية).
يرددها الفرات لدجلة الخيرِ
الذي يصحو ويختصرُ
بها حزن السنين، وكل ما يلقاهُ من وجد
فتكبر قصة المجد
وتهرم قصة المجد
يُسعر نارَها المذياعُ بين الحين والحينِ
وصاحبها يمد يديه للآتين
علَّ سحابة تأتي
تبلل دربَ محزونِ
وتدفع صولة الموتِ
عن الجسد المكور في العباءة
هده الكبرُ
وأضناهُ الذي يضني
غيومُ الصيف كاذبةٌ، ولا مطر
وإن جاءت فتنكر زهرة
ذبلت، بباب الشيخ منسيةْ
وباب الشيخ أغنيّةْ
(نخل السماوة يقول
طرَّتني سمرة
سعف وكربٌ ظليت
مابيّ ثمرةْ).

غنائيةٌ تكاد تُبكي لتصويرها الحالةِ ونقلها إلى وجداننا في حالة من النشوة الحزينة الشجيةِ استطاع الشاعر بعبقرية نقلَ الحالة التي مرَّت به.

وفي ديوانِه الخامس(أخاف عليك فابتعدي) نلحظ حالاتٍ من الغنائية الراقية الشجيةِ في كل قصائدِ الديوانِ تقريباً في حالات وجدانية تمتلئُ بالشفافية القريبة من الروح، وهي شفافيةٌ شفيفةٌ ترفُ حتى تقاربَ القلب، ويمكن أن نقتبسُ من القصيدة الرابعة وهي بعنوان(أعيش احتراقي وأحبك) ص 184:

(زمان يفرقُ عشاقَه، ويكشفُ أوراقـه، ويعلم أن الهوى، بغير الحبيب احتراق وآخ. وأنت بعيدة. أعيش احتراقي وأحلى قصيدة، بعينيك ظلت، فهل تسمحين. سأعترف الآن أنـي...). وهكذا فالديوان كله شجىً، وكلهُ حزنٌ يرفُ في حالات متفرقة.

وفـي ديـوان أغـانـي الـفـرات، وهـو الـديـوانُ السادسُ للشاعر تفجؤُنا وتدهشنا غنائياتٌ عاليةٌ في كل قصائدهِ. لكننا نقول إن قصيدة (دوائر) ص 35، يمكن أن تكونَ شاهدةً على غنائيةِ مروانَ الراقيةِ ككل.

وهي قصيدةٌ مهداةٌ إلى الشاعر علي كنعان.

يمكنُنا اقتباسُ بعض أبياتها:

(من أين أبدأ أيها الساري، ولا مسرى لديّ، سوى التوغل في براري الروح...)، إلى أن يقول: (وليس غير اللوحةِ المعروفةِ الألوانِ تذكرُها، وتحملها معك، وجعاً يعذبُك العشيةَ، لا عـرارٌ، لا صدى، يأتيك فاشربْ هيتَ لكَ، أن تعرف الجاري، تلوَّن كل شيء بالرماد).

فمنذ البداية نحس بهذه البداية الشجية ونعرف مؤدّاها. اعترافٌ حزينٌ من الشاعر بأنه لا يستطيع عملَ شيءٍ وكأنما ينشدُ أو يغني أو يُقصد هذا المطلع الحزينَ الجميل.

5 – القصيدة والجملة الشعرية:

لا ريبَ أن لقصرِ القصيدةِ عند الشاعر صلةً بالغنائية؛ فالقصيدةُ الطويلةُ نادراً ما تمتلكُ هذا النفسَ الغنائيَ؛ ففي جميع دواوينهِ لم نلحظ ولا قصيدة طويلة واحدة سوى في ديوان حمدانِ الذي قطعه إلى أناشيد معينةٍ.

فهذا القصر كثّف من النتوءاتِ هنا وهنا؛ وشد على القصيدةِ بصلابة فلم يتناثرْ لحنُها هنا وهناك، ولم يسرْ في دروب متعرجة؛ بل ظل نغماً إيقاعياً هادئاً غير مضطربٍ وبقي صافياً لا عكّر فيه.

وحين دراسـةِ الجملة الشعرية لملاحظة تأثيرها على الغنائية؛ لفتَ نظرَنا أن كلَّ جملِ مـروانِ الخاطرِ قصيرةٌ فلا توجد جملةٌ شعريةٌ طويلةٌ إلاَّ فيما ندرَ، وجاءت الجملةُ هكذا لتناسب الغناءَ الشعري، وتأخذ بيد الغنائية في الديوانِ، وتقولُ إنها ساهمت في دفع مدلولاتِها إلى الأمامِ وصاغتْها لتكتسب مكانتها. فالجملةُ الشعريةُ القصيرةُ لا يصعبُ على المغني ترددُها وتكرارُها ومنحها مدَّاتِ إيقاعيةً خاصة تعطيها حريَّتها في التنوع الغنائي.

أما في العروضِ فقد استفاد الشاعر من مجزوء البحور ومشطورها ومن البحور ذاتِ الأوزانِ الغنائية القصيرة. فمثلاً قصيدة (إليها) من ديوان (الناي الجريح) ص 442 التي مطلعها:

وعي مامرَّ من أمسي
وصبي الراح في كأسي

فوزنُها غنائيٌّ مرحٌ هو (مفاعيلن، مفاعيلن). وكذلك نضرب مثلاً قصيدة (ريم) من الديوان ذاته ص 416، فقد استفادَ من تفعيلة (مفاعلتن) من البحر الوافر وصاغ القصيدة عليها وقد أ فاده هذا في غنائية القصيدة وإيقاعايتها. وأعطاهُ نغماً منسجماً.

2 – تطور الغنائية في شعر مروان الخاطر:

لدى تمحيصِ الأعمالِ الشعريةِ للشاعر، لاحظنا أن الغنائية في دواوينه الأولى خاصة الأول والثاني كانت تقتربُ من العفويةِ والانفعالِ، وقد استمرت في تقدمها وصعودِها من بداية الديوان الثالث؛ حيثُ ارتقت في تنوعِها وتلاوينها ومداها، وإن كانت الغنائية في معنى من معانيها هي الهمُّ الذاتيُّ وطرحُهُ على كل الأشياءِ، فقد وجدنا أن الشاعرَ في تطورهِ لم ينسَ العامَ حتى في أثناء تغليبه للذاتي.

كذلك لاحظْنا أنـه زادَ في تطورهِ من حالةِ الانسياحِ في الطبيعة وأنسنتها؛ وارتقى إلى آمادٍ غيرِ مطروقة من قبل، وطرقَ أبواباً خاصةً في تنويعاتِهِ على دروبِ الغنائية. فكون – وقد لا أكون مبالغاً – لغةً غنائية خاصة به فيها تمييزٌ واضحٌ. على رأس هذه الميزات هنا قضيةُ الحزنِ الخاص بهِ الذي أفلح في تقديمهِ لنا، وقد بلغت الغنائية قمتَها خلال ديوان (أخاف عليك فابتعدي) وهو الديوان الخامس له. كذلك في ديوانهِ السادس أغاني الفرات. إذ نلاحظُ هذه الغنائية الحزينة الهادئة التي تمسُّ الروح تماماً. وتعانق الزمن البعيد.

وقد تميزت من ديوان (أخاف عليك فابتعدي) قصائد بعينها هي:

1 – مكاشفات ليلية، 2 – أعيش احتراقي وأحبك، 3 – قراءة في كتابِ الغربةِ. 5 – شمعةُ الليلِ والنهارِ. 6 – انتظارُ عاشق.

فمن نظرة عميقة إلى تلك القصائد نلاحظُ ما نوهنّا إليه عن تطورِ الغنائيةِ لدى الشاعر من قصيدة شمعة الليل والنهار ونقرأ: ص 174.

الصبحُ كالمساءُ
والليلةُ التي تمرّ بي هنا
كغيرِها، لا تعرف الأضواءْ
مللت وجه صاحبي، وملّني
وأنت أنت الداءْ.
لولاك ما هجر طير في الشتاءْ
أو عاد في الخريفْ
وما تفتحت بوجه هذه السماءْ
جراحها، واستمتعت بدفقة النزيف
أو أزهر الشجرْ
لولاك يا قمرْ

هذا النفس الحزين الحزين في القصيدة جرنا إلى مواقع الاستمتاع بمداراتهِ وألحانِه في هدوء واتزان، ومن قصيدة (قراءة في كتاب الغربة ص 177 نقرأ:

نتباعد كي نتقارب أكثر فانتظريني كل مساء
آتيك بهيئة عصفور مذعورٍ
بلله المطرْ
مكسورِ الجنحِ، يشقشقُ من ألمٍ
ويداري عنك الداءْ
آتيك وأنتظرْ
نوم الأبناء، فإني
أخشى أن يتلمسني أحدٌ
يتساقط ريشي
يُنْكِرُني الأبناءْ

مقطعٌ مملوءٌ بالحزنِ الدفينِ يتلمسُ الحياةَ، فإلى من يجيءُ العصفور المذعور حين يخاف؟ حتماً إلى حضن شجرة وارفة كثيفة عندما يكون مبللاً بالمطر ليحتمي.

صورٌ غنائيةٌ شجيةٌ تغيب بنا في عالم رحب من الأغنيات الشجية.

ومن قصيدتهِ الجميلة جداً (أبحث عن أمي) ص 186 نقرأ:

أتذكر وجَهك يغمرني
سيلُ الصور النعمى
أطفو فوق السيل الأخضر يحملني لبلاد
مامر عليها الحزنُ يطرزها
فرح طفل وتوشيها الأعيادْ
أنسى أني زمن القحط المتكلس أحيا
أزرع عمري في سبخ
وأداري الزرع ، دمي أسقيهِ
وأعلم أني دون حصادْ
شبك يلتف عليَّ ويخنقني
أتلفت ترتد العينان وتسعفني
عيناك فمدي لي كفيكِ
أمدد رأسي من تعب
وأبعثر بين أصابع من أهوى
أوراق الحزن الناغل في الأعراقْ
في حضرة من أهوى

وتتوالى القصيدة في انسيابية غنائية راقية، قصيدة ملأى باللغة الغنائية.

يمتدُّ الحزن الشفاف في أوردتنا ويستطيع الشاعر السيطرة على المناخ بقوة.

أما في ديوانه الأخير (أغاني الفرات) فهناك قصيدتان هامتان في مجال حديثنا حول تطور الغنائية، هما قصيدة (الدوائر) وقصيدة (مرثية الـهـام)، ومـن هـذه القصيدة – ص 60 – التي تدهشنا غنائيتها وروحها الحزينة نقتبس:

- 1 -
تسألني الحديقةْ
عن زهرة ليست كباقي الزهرِ
تعطي، ثم تعطي، فجأةً
ودونما ذبولْ
تساقطت والخاطر المكسورْ
يراقب الأفولْ
يصفّر في اصفرارهِ
يحمر في احمرارهِ
ويسأل المقدورْ
عن سرٍّ ما دار وما يدورْ
يبحث عن حقيقة
وليس غير الصمت في حديقةْ
إلهام يا بنتي التي غيابها
فوق احتمال الروح للغيابْ
لا تحزني على رحيل دونما إيابْ
تشبثي باللحد، فالترابْ

تستمر القصيدة في جريانها الحزين منسابةً رقيقةً، فيها روعةٌ غنائيةٌ، تأتي من القلب والوجدان العميق صلة وتواصل؛ بل وتداخل بين الشاعر والحالة. كل هذا ينتقلُ بسرعة فنحس بإحساسه، وينقل لنا كلّ نأمة من زمنهِ وذلك الزمن القاهر.

ولابـدَّ من التنويهِ في مجال بحثنا بقصيدة إعلانات ص 94 وهي من ديوان: (أغاني الفرات) فهي من القصائد الهامة التي تشهد على تطور الغنائية عنده.

3 – موقع الشاعر بين الشعراء الغنائيين في سورية:

لقد بدأ الشعر الغنائي في سورية مع شاعر فحل هو الشاعر نديم محمد، ولكنه كتب شعره وقصيده حسب الشكل العمودي للشعر العربي؛ فهو من هذه الناحية يختلفُ عن غيره من الذين كتبوا شعرَ التفعيلة. وقد أثرَّ هذا الشاعرَ بغيرهِ من الشعراء؛ خاصة شعراء الخمسينيات، وقد تجلى من الشعراء الغنائيين في هذه المرحلة، وبرز الشاعر الحمصي عبد الباسط الصوفي، الذي كتب الشعر في شكله العمودي والتفعيلة، وقدم لنا لوحات غنائية لا بأس بها، وطوّر اللغة الغنائية، وتقدم على أصحابه في صوره وأبعاده؛ أما موقعُ الشاعرِ مروان الخاطر في ذلك المجال فإننا نقول: إن له موقعاً متقدماً بين أقرانِهِ، أو هو في المواقع المتقدمةِ، إلاَّ أن له تجربته المتطورة شعرياً، وله باعٌ طويلٌ يمكن أن يجعله واحداً من القلّة في مواقع الشعر الغنائي السوري واحداً من القلة التي سعتْ وتسعى باطراد إلى التقدم القصيدة الغنائية.

مـروان الخاطر في مجموعتهِ الكاملة برز لنا شاعراً متقدماً؛ يطمح إلى تمتين صلته بالشعر بشكل دائم، ليقدمَ لنا الأحلى والأجمل والأصفى، ويتركه للأجيال خبرة وممارسة وتجربة فيها الكثيرُ من الجمال.

سلافة الروح – والعودة إلى الجذور

أحمد سعيد هواش

الدكتور راتب سكر أكاديمي وباحث وشاعر حداثوي، يستمد صوره الشعرية من معين تراث الأمة العربية المتمثل بمعلقات الشعراء الجاهليين والعصور الأدبية المزدهرة اللاحقة؛ وخاصة مرحلة أواخر العهد العباسي، ويسقطها على حياتنا المعاصرة.

وكانت دواوينه: وجهك وضاح ثغرك باسم دمشق 1984م، أبي ينحت الحجر دمشق 1994م، في حضرة العاصي دمشق 1996م، ملاءة الحرير دمشق 2000م، أقرب من الأصدقاء ... أبعد من الخصوم دمشق 2005م، وبعدها أصدر ديوانه:

«سلافة الروح» وهو الديوان الخامس للشاعر الدكتور راتب سكر، إصدار الهيئة السورية للكتاب دمشق 2012م.

وعنوان الديوان «سلافة الروح» هو عنوان لإحدى قصائد الديوان ص111، الذي يدل دلالة مميزة عن مكنونات الشاعر وتقديمه لأفضل ما عنده مما جادت به قريحته حيث ينقلنا الشاعر على جناح طائر الشوق والحب والحنين للوطن والأمة متمثلاً بطبيعتها وسكّانها على مساحة مئة وثلاثة وأربعين صفحة من القطع المتوسط في ثمان عشرة مقطوعة شعرية من شعر التفعيلة الموزون، وكانت لوحة غلاف الديوان من تصميم الفنان التشكيلي موريس سنكري، وقد نوه الشاعر الدكتور راتب سكر بأن قصائد ديوانه «سلافة الروح» كان قد نشرها في دوريات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ومجلة المعرفة الصادرة عن وزارة الثقافة السورية ما بين عامي 2006-2011م.

وقد بدأ الشاعر راتب سكر رحلته الشعرية الجميلة بهذا الإهداء اللطيف لديوانه :

«سلافة الروح»: إلى ناعورة الدهشة ... أستاذة وجارة وصديقة، وهذا يدل على وفائه لتراب المهد الذي يبدأ من منطقة باب الجسر بمدينة حماة، ذي الإطلالة الساحرة على نهر العاصي، و«ناعورة الدهشة « هذا المكان الذي استهوى من قبله شاعر حماه الكبير بن حجة الحموي، وأبدع فيه أجمل قصائده، وقد سار على نهجه بعض شعراء حماه المعاصرين.

ومن الملاحظ أننا من عناوين قصائد الديوان «سلافة الروح» نرى التفاؤل في نفس الشاعر لغدٍ أفضل، رغم عدم إخفاء غصّة الحزن في نفس الشاعر، وعناوين القصائد في أغلبها مفرح مستمد من التاريخ القديم والحديث للأمة العربية.. ومن هذه العناوين: لهفة المشوق وحنينه: عدّية الدنيا، صبية أشرق نورها!، سفر في مواكب النور، معرفة الدار بعد توهم، قنديل معرة النعمان، درج الياسمين «سلافة الروح» عنوان شاعر.

وافتتح الشاعر الدكتور راتب سكر ديوانه: «سلافة الروح» بقصيدة «لهفة المشوق وحنينه» ص7، وهي بمثابة مقدمة ليفتتح بها شهية القارئ؛ وقد قسمها لعنوانين: حنينه و«لهفته»، أما حنينه فكان للغوص في تاريخ الأمة العربية القديم الشامخ، الذي تميز به العربي في صحرائه من شجاعة وكرم ونَجْدِة لمستغيث.. فقال:

حنينه:

لجواد من صهيل / تاه دهراً في الصحارى / من غيابٍ لغيابْ

فارسٌ هام على صهوته/ناديته: يا صاح / أعطاني نشيداً أخضر الروح

وأما لهفته فكانت ليمتطي حصاناً جامحاً ليصل إلى جزيرة العرب، ويجوب صحراءها ويستظل بنخيلها، فقال:

لهفته:

لحصان جامح / يطوي فلاة من غموض لكتاب الحزن في دالية الأيام

أنشودة شوق وأنين / هذه الدنيا كروم / أينعتْ في موسم النور

ومن أهوى غفتْ تحلم بالشعر / وعوداً في دنان من ضياء ..

وتهادت في ظلال من نخيل / ناعس الروح حزين.

وتأتي بعدها قصيدة «عدّية الدنيا» ص11، وهي من قصائد الديوان المميزة، حيث صب فيها الشاعر الدكتور راتب سكر حبه وحنينه لمدينة حمص جارة حماة، حيث أمضى فيها الشاعر شطراً كبيراً من حياته، وقد استهلها بمقدمة نثرية إذ قال:(في عام 2010م نقلته المؤسسة التي توظف فيها بحمص عام 1985 إلى فرعها المحدث في حماة، فسئل صحبة 25 عاماً... وقد علموه صغيراً أن الله يسأل عن صحبة ساعة).

والقصيدة طويلة يلفها الصدق والوفاء بأكثر من رداء جميل إذ قال منها ص 14:

هي حمص أعرفُها / إذا ضحكت / فكم رتّلتُ أشواقي لطلعتها العدّية

كم حنتْ يدُها على روحي / وما أنا غير دنٍّ من وفاء ساهر

يرعى النجوم / تعلقاً بدروبها وأناسها / وأنا الصدى الهيمانُ

إنه الوفاء للمدية (حمص) التي رعت الشاعر وشرب من ماء عاصيها، وتغذى من خيراتها، وتنفس من هوائها، واستمتع بضحكات أبنائها، وما الوفاء لـ «حمص» إلا الصدى الذي يهيم بروح الشاعر.. ابن مدينة حماة التي يربطها بأختها حمص نهر العاصي المعطاء، الذي أقيمت على ضفتيه أجمل المنتزهات التي تريح العناء عن النفس المتعبة، مثل منتزه الميماس الجميل؛ إذ قال:

لو نسمتْ على وادي حماةَ / جنوب جارتها

وهل المشتهى من غادة العاصي / يبوحُ بما يشوق ظلام أوهامي

إلى العدّية في سنا ميماسها.

لقد ترك الشاعر راتب سكر لنفسه العنان لتتدفق منها موجات من الحب والاعتراف بالجميل والمودة والأشواق إلى جارة حماه حمص، حيث يربط بينهما جسر الرستن الجميل الذي يجتازه الشاعر مراراً بسفره ما بين الشقيقتين حماة وحمص، فقال:

سرحتْ بقاع النهر آمالي / دفعت براحتي موجاتها

أرنو لجسر الرستن العالي / كوشم الذكريات

وفي قصيدة «على أبواب صاحب بريد الموصل» ص21 يسافر الشاعر على متن طائر الفرح لعله يعثر على ما يبل روحه المثقلة بالهموم القومية، ولكنه، وللأسف – لا يجد سوى الصدى لصوته رغم قربه من بقاع انتصارات الأمة العربية في «عمورية»، ومن قرب الخليفة «المعتصم» الذي لبى استغاثة تلك المرأة العربية التي اعتدى عليها علوج الروم، فأطلقت صحيتها المشهورة «وامعتصماه»، فلبى نداءها سريعاً. وكانت معركة «عمورية» الظافرة التي انهزم بها جيش الروم، وخلد هذه الموقعة الشاعر الكبير أبو تمام الطائي في قصيدته المشهورة؛ فقال الشاعر راتب سكر :

أبوابها مكسورة / لا أصدقاء يرتلون :

نشيد «عمورية انصرفتْ»

ولا طير المساء / يعيد تراجيعَ النشيد.

وها هو الشاعر راتب سكري يفصح عن هويته؛ فهو طائر الأشواق والفرح يجوب البراري والقفار الموحشة، فيطأ بقدميه أرض الصحراء العربية التي توهج رمالها الشمس المحرقة، هذه الصحراء التي انطلقت منها الفتوحات العربية الإسلامية، فكانت الحضارة العربية التي امتدت من شواطئ الصين إلى غرناطة في بلاد الأندلس العربية؛ فقال الشاعر :

أعرفتني يا سيّدي؟ / أنا طائر الأشواق

تكسرُها البراري / في رمال الروح / يابسةً

وهذه الصحراء لا تخلو من واحات النخيل ذات الثمر الرطب الذي يبلل الأفواه العطشى التي ينعشها بعض الثمرات من نخيلها مع شربة ماء وسماع طير يغرد؛ فقال :

وتحيا، إذ ترى في وهجها / غصناً رطيباً حانياً بشرابها مع رفّةِ الطير الغريد.

ونستمر مع شاعرنا راتب سكر في تجواله الجميل؛ حيث حل به الترحال بمصر العربية، حيث تم إيفاده لحضور دورة حصل فيها على بحث علمي في جامعة القاهرة في عام 2006م، وأقيمت له بعض حفلات التكريم بالقاهرة، واستمتع بمعالمها التاريخية الرائعة وبنيلها العظيم، فكانت قصيدته «على أبواب مصر» ص29؛ إذ قال مفتتحاً إياها بقوله: «كانت سماء القاهرة تسقيه سلافة الصداقات والحب» قال منها :

هي «مصر» تدعوني / فأدخلها أميناً آمناً

القلب يسبقني إلى الأهرام / والروح التي خشعت تصلّي في شواطئ نبلها.

وهنا نرى تأثر الشاعر الدكتور راتب سكر بالقرآن الكريم؛ وخاصة في هذا المقطع:

هي « مصر « تدعوني / فأدخلها أميناً آمناً

إنه مستوحي من الآية الكريمة: (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)، (سورة يوسف الآية 99)

ودخلها الشاعر بسلام وأمن، تسبقه أشواقه لأهرامات الجيزة التاريخية المشهورة، فكانت بساتينه معلقة على أهرام «جيزتها»، ودموعه تنسكب على واديها.

وما أجمل ما عبر عنه الشاعر راتب سكر عن حبه لمصر العربية، فهي تعرفه ويعرفها؛ وربما تذكره بساتينها التي يرويها النيل ببساتين حماة التي يرويها نهر العاصي بناعورة الدهشة المجاورة لمنزله، فيرى بساتين حماة معلقة على أهرام «جيزتها»، ودمع عينيه ينسكب على واديها الجميل حباً وصبابة مع دفقة نيلها العظيم، إذ قال :

هي «مصر» تعرفني وأعرفها /بساتيني معلقة على أهرام «جيزتها»

ودمع العين منسكب بواديها /يهلُّ صبابة/ مع دفقة الأمواج

دافعة مراكب نيلها.

وفي قصيدة «سفور في موكب النور» ص56 يصل الشاعر برحلته الشعرية إلى مضارب بني عبس في صحراء الجزيرة العربية، وها هي السيدة «عبلة» زوجة الشاعر الفارس «عنترة بن شداد» تدعو أصحابها لارتشاف قهوتها؛ وتشير إلى مرابعها التي يتصاعد الدخان من موقدها دلالة على الكرم؛ وتصرخ: «وهذه داري» المستقى من مطلع قصيدة زوجها الشاعر الفارس عنترة؛ إذ قال:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

وعمي صباحاً «دار عبلة» واسلمي

حيث يقول النقاد قد يكون هذا البيت من أجمل الشعر العربي زخرفة.

فقال الشاعر الدكتور راتب سكر:

تنادي «عبلة» الأصحاب / داعية لقهوتها

ملوحةً لهم / بدخان موقدها

تشير إلى مرابعها، وتصرخُ: «هذه داري».

ونصل مع الشاعر راتب سكر برحلته الشعرية إلى الهند؛ حيث مهد لقصيدته بقوله:

شاءت له الأقدار أن يقف مساء 2011/4/24م على شاطئ بومباي في الهند، فكانت قصيدته : (نجاوى بومباي) ص61، فيرى منه مدينة «عدن»، في القطر اليمني الشقيق الذي أمضى فيه الشاعر الدكتور راتب سكر سنين عدة مدرساً في جامعاتها؛ فكانت له صداقات ولقاءات ومحاضرات ومسامرات، مازال يذكرها بحب وتقدير، وكُرِّمَ بها أكثر من مرة، وفي بومباي في الهند يستذكر الشاعر زعيم الهند الراحل جواهر لال نهرو ولقاءه مع الزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر، وهما من أبرز وجوه مؤتمر «باندونغ» لحركة عدم الانحياز الذي انعقد في ربيع عام 1955م، ونرى تأثر الشاعر الدكتور راتب سكر بالقرآن الكريم بالمقطع الرابع، «وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن

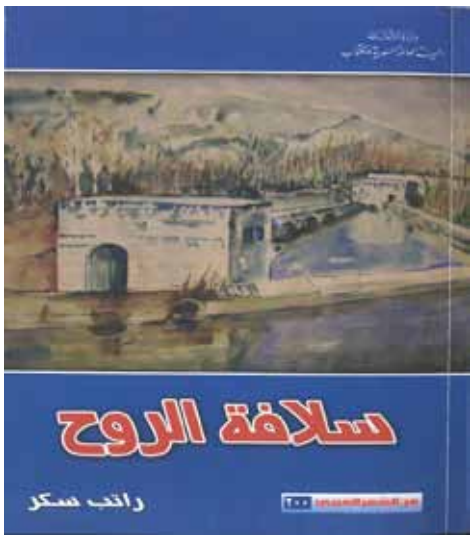

منها (الآية 86 من سورة النساء)» فقال :

رأى مدينة عدن البعيدة / تطل من الشاطئ العربي المقابل

لَوَّحَ لها بيده الصغيرة / ردت تحيته بأحسن منها.

رأى جواهر لال نهرو وعبد الناصر، يمشيان على مياه البحر/ فتهدأ العواصف تحت أقدامهما / ولا يغرقَان ... / في بومباي يرى المرء العالم!

وفي الغربة يستذكر الشاعر عاصمة بلاده الجميلة «دمشق» فيحن إليها، فهي مصدر إبداعاته الشعرية، مع عجائب الهند المعروفة، فيمتزج الفرح مع الحزن، وتنسكب دموع الفرح من عيني الشاعر؛ إذ قال:

دمشق جناح قافيتي / ونوح «الهند» أغنيتي.

إذا هلّت دموعي تنتشي بصلاتها / مع شمعةٍ سهرتْ على درجٍ / تعلّق في حبال من أديارها!

وفي قصيدة «معرفة الدار بعد توهم» ص75، يستمر شاعرنا الدكتور راتب سكر في رحلته في صحارى شبه جزيرة العرب، ويتجاذب في نفسه الحزن مع الفرح، وقد استلهم عنوان قصيدته هذه من مطلع قصيدة للشاعر الفارس عنترة بن شداد؛ قال:

كانت تراودني / صحارى رحلتي

ورشاقة الحزن الدفين / تراقص الخطوات في لغتي

فكيف أعاند الفرح الجميل / وكيف أخفي الحزن في صوتي .

وبعد .. فقد نقلنا الشاعر الدكتور راتب سكر معه على جناح طائر الأشواق والحب والحنين، مجتازاً بنا مدناً وأقاليم وقارات، مبتدئاً من تراب المهد من جانب جارته ناعورة الدهشة التاريخية في باب الجسر بحماة، وكانت محطته الأولى حمص العدّية.. إلى العدّية في سنا ميماسها؛ / ثم يصل إلى مهد العرب الأول، فيحل ضيفاً على «دار عبلة» زوجة الشاعر النبيل عنترة؛ فيرتشف قهوتها إلى تحضرها للأصحاب؛ حيث رأى الدخان يتصاعد من موقدها، ثم يستأذن مودعاً ليصل إلى ميناء بومباي في الهند:

رأى مدينته عدن البعيدة / تطل من الشاطئ العربي المقابل فتبادلا التحيات.

كما رأى «دمشق وهي ملهمته..

دمشق جناح قافيتي / ونوح «الهند» أغنيتي

ومن هذه وتلك وما سبقهما؛ أبدع الدكتور راتب سكر ديوانه «سلافة الروح»؛ وأضفى عليه من اسمه الكثير الكثير؛ فهو صدى لروحه المحبة للناس وللوطن وللأمة... مستبشراً بغدٍ عربي مشرقٍ قريب.

تقنيات النص الشعري في (سلافة الروح) للشاعر راتب سكر

عوض الأحمد

د.راتب سكر

(سلافة الروح) مجموعة شعرية صدرت حديثاً عن وزارة الثقافة للشاعر الدكتور راتب سكر، وتتضمن باقةً من القصائد الوجدانية والذاتية والغنائية، وعنوان المجموعة جاء موحياً ودالاً وداخلاً في نسيج نصوصه الشعرية؛ فهو لم يبق عنواناً دالاً؛ بل صار من صلبها، وأصبح مشتركاً في أبعادها وأعماقها.

أما عناوين القصائد فجاءت في معظمها موحية وبعيدة عن المباشرة، ومن هذه العناوين: (نوافذ موصدة!، سفور في موكب نور، قنديل معرة النعمان، درج الياسمين، سلافة الروح، شتاء من دون ضجر، بحضرتها البتول). ومن العناوين العادية (الأصدقاء الثلاثة، نجاوى بومباي، عديّة الدنيا).

كما نلحظ في هذه المجموعة الشعرية عتبات نصية عِدّة؛ فهناك الإهداء في الصفحات الأولى (إلى ناعورة الدهشة... أستاذة وجارة وصديقة!).

فالناعورة رمز لمدينة حماة ونهر العاصي، أما عتبات بعض النصوص فما هي إلاّ تمهيد وتشويق للدخول في طقوس النص الشعري وأجوائه، كما هو في النص الذي يحمل عنوان: (الأصدقاء الثلاثة)؛ إذ يقول الشاعر:

(على هامش ندوة أدبية، في النادي الأدبي اليمني في القاهرة، امتدَّ به السهر مع صديقيه العدني والصنعاني... فوجد الورقة الآتية تحت وسادته في الصباح!).

كما نلحظ الأسلوب السردي في بناء أكثر النصوص والاهتمام باللحظات الحميمية في الحياة، كما في نص (الأصدقاء الثلاثة).

(عبد الله ابتسمت شفتاه!/ وبغابات الليل احتطبتْ: عبثَ الأوهام يداه/ فتضاحك سحر../في عينيه الحالمتين براقصةٍ/ تلهو في الحفل../ ويصرخ مدعوّون كثيرونَ: /برافو.. آه!).

ويبتعد الشاعر عن الغربة والغموض في هذا النص، ويقترب من الوضوح والبساطة في الشكل والمضمون، والاقتراب من مستوى اللغة التداولية كقوله: (برافو... آه، رب انصر عبدك...).

وتتنوع صور التعبير الشعري في نصوص د.راتب سكر من حيث توظيفه العناصر الفنية في نسيج نصوصه، وتتركز حول اللفظ والمعنى، ومن خلال صياغة مبدعة، فهو يتعامل بحذق ورفق مع هذه التقنيات، وبإحكام وسلاسة في الألفاظ وجودة صياغتها كقوله:

(هي امرأة/ تسرّحُ شعرَها/ بنسيم شرفتها/ أعالي الغيم تحضنها/ أراقت في أباريق الصباح/ فيوض عطر/ من ضياء سوارها اللمّاح/ فاغتسلت بضوء كلامه/ لغةٌ من البوح الأريب!).

وتظهر الإيقاعات الصوتية والدلالية في أغلب النصوص متوافقة مع الإيقاع الكلي للعالم المتخيل في كل نص، وهناك كم وامر من الغنائية والذاتية في نصوص هذه المجموعة الشعرية، من حيث توظيف الجمل الشعرية القصيرة التي تدخل الوجدان، وتنعش الروح والكلمات والألفاظ الرقيقة، واهتمامه بترابط أجزاء النص، والتوازن بين هذه الأجزاء وتلاحمها، وحسن الانتقال من فقرة إلى فقرة ومن فكرة إلى فكرة، كوصف الفيافي والصحارى، ومن الحنين إلى اللهفة والغنائية لغة الروح والقلب والوجدان نلمس ذلك في قوله: (وبلغنا سرّها/فوق بساط من سرور/ وعبرنا موجها العالي/ نغني صفوة الحسن سلافا/ عتقتها جَرّة الأوهام/ صهباء المعاني/ من دهور لدهور/ فغدونا من نداماها/ وطرنا/ من سماء لسماء/ أدرك الفجر/ حروف الشوق/ في صمت الليالي/ فتغطى برداء/ من نجوم/ وأغاريد وفاء).

أما المرأة في نصوص راتب سكر أصبحت رمزاً للوطن والأرض، وهي الأخت والحبيبة، وبات تحررها على المستوى الاجتماعي والسياسي صورة من تحرر الأمة، فنجده يستحضر صورتها في التراث العربي والأغنية الشعبية، ويخلق جمالية من خلال التفاعل مابين النص والقارئ، ونجد ليلى المريضة في العراق في نصوص عدّة، ويرمز من خلالها إلى واقعنا الحالي وما نحن عليه من بؤس ومرض وانحدار نحو الهاوية، وهجمة شرسة من الأعداء تنشر الخراب والدمار في كل شيء.

(ليلى المريضة في العراق/ تطيل شكواها/ فتبعث في بريد مخاوفي/ صوراً مؤرقةً/ تهيم بلا جواب).

ويقول أيضاً في نص آخر يحمل عنوان: (سلافة الروح):

(رأيتُ دروبَها/ تبكي على غيّابها/ ليلى المريضة/ في أراجيح المساء/ ترتب الأوهام/ حالمةً بقنديل/ يضيء دروبَ شرفتها/ فربّ إضاءة/ هدتِ الطبيب).

ويوظف الشاعر د.راتب سكر الأسطورة في نسيج شعره كأسطورة سيزيف، وهو بطل إغريقي، وهو ابن (إيولوس) ملك مدينة طروادة الرابع، وقد حكم على سيزيف أن يدحرج صخرة عملاقة إلى قمة الجبل، ووصل للقمة انزلقت الصخرة إلى الأسفل، ليقوم سيزيف بالعمل نفسه من جديد، وأصبح سيزيف رمزاً ونموذجاً للبطل العبثي.

(هامَ دهراً في البراري/ صارخاً: ليلى/ ولم ليلى لم تزل هيمى/ بنايات أناشيدي/ وتفسير غموضي/ من خطاب لخطاب/ كم رأتني عائداً/ أحدو مسيري/ رافعاً صخرة حزني عالياً/ بين حضور وغياب).

ونلحظ التناص القرآني في نصوص عِدّة كتوظيف قصة يوسف، وقابيل وهابيل، بالإضافة إلى التناص الشعري من خلال استحضار المعتصم، وفتح عمورية.

(مرّت حشود من توهم خاطري/ فمضيت أبحث في قوافله/ فربّ أخ/ أضعت قميصه/ في غيهب الجبّ البعيد/ يرد صرخة لهفي ندماً/ ويرجع في جناح سفينة سيارة/ غطت رمال الأرض أقدامي/ فتاهت في دروب رحيلها).

ووظف الشاعر د.راتب سكر المثل الشعبي لما يحمله من حكمة ومعرفة وخبرة لتجارب الشعوب، ويقول: (وعلمه الرماية راضياً، حتى استقام على التلال مكابراً/ متطاولاً/ واشتدَّ ساعِدُهُ/ فراح يرى معلّمَه/ صغيراً عابراً/ حتى إذا عثرتْ به خُطواتُهُ/ بين الوهاد/ وصاح من ألم... رماه!).

وفي نصوص هذه المجموعة الشعرية اقتباساتٌ عِدَّة من شعر عنترة وشعر أبي العلاء المعري، كقوله في نص (معرفة الدار بعد توهم):

(صهلت خيول الروم/ والأطيار في وَكناتها/ أما جوادي فالجراح فراشه/

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى

ولكن لو علم الكلام مكلمي).

وكقوله في قنديل معرة النعمان:

(أنا صاحبي/ بوابة الأيام تشرح سرّنا/

«هذا جناه أبي عليَّ»

فكنتُ قنديلاً/ بهيج الضوء من مطر).

نصوص مجموعة (سلافة الروح) ملأى بلغة الثنائيات الضدية؛ إذ يستقي النص شعريته من كثافة هذه الثنائيات الضدية، ومن مسافات التوتر التي يخلقها في جسد العبارة الواحدة، وتبرز مسافة التوتر منذ البداية في أغلب النصوص والجمع بين المتنافرات من خصائص الشعر.

إذ تتشكل رؤيا النص كما يسميه لوتمان (مرسلته) في إطار تأكيد المفارقة الضديّة الجذرية؛ فالولادة لا تكون إلاّ من لا شيء، والجديد لا ينبع من القديم، وهذا ما نقرؤه في النص الذي يحمل عنوان (معرفة الدار بعد توهم):

(بدل الوجود ضياءه/ بظلام أيامي/ وعتم توهمي/ مالت بشائره / تراقص/ جرّة العسل الجميل/ على خبايا علقمي/ أغرودة هاجت/ سنا فرح مصفّى/ في فمي).

وللصورة الشعرية دوراً أساسياً في عملية الخلق الشعري، ولقد لعبت الاستعارة في هذه النصوص الشعرية دوراً أساسياً من خلال الانزيحات، كما كان للخيال دوراً مهماً، كل ذلك جاء بعيداً عن الإغراق؛ فمعظم الصور الفنية جاءت عميقة في المعنى والدلالة والرمز:

(درجٌ من ياسمين/ فاض بشراً/ وارتقى/ نحو بياض شاهق الرؤيا/ هلمّي يا عروس النور/ في ثوب نقاء/ واصعدي يا نفس/ هذا موعد طاب جنى/ تيهي ضياء في رداء/ من يقين).

مجموعة (سلافة الروح) مجموعة شعرية جديرة بالقراءة؛ إذ نحن أمام شاعر متمكن ومتفرد بمعجمه الشعري وبصياغته الأنيقة لجمله وإبداعه لصور فنية جديدة وجميلة. وحبذا لو تخلّص من بعض الصفات الزائدة في بعض النصوص لما لها دور سلبي في إضعاف بنية النص.

محمد راتب الحلاق

عن الترجمة والأدب المقارن

مصطلح الأدب المقارن، يعني، في حدود فهمي على الأقل، دراسة الظاهرة الأدبية الإنسانية، عن طريق تتبعها في لغات مختلفة، بقصد اكتشاف الانتظامات التي تتقاطع فيها آداب الشعوب والأمم، رغم اختلاف ثقافاتها وتجاربها؛ وهذا سعي مشكور للنقد الأدبي الحديث والمعاصر، لأنه يحاول أن يسلط الضوء على ما هو إنساني وعام في الإنتاج الأدبي، مما يمهد للمساهمة في جسر الهوة بين الثقافات والحضارات واللغات المختلفة، ويؤكد أن بؤرة الإبداع واحدة، وأن أهدافها واحدة أيضاً - ويقتضي هذا النمط من النقد توفر نصوص كثيرة من لغات عديدة؛ أي قيام حركة ترجمة ناشطة، تؤسس للحوار بين الآداب، الذي يثمر من جملة ما يثمر، حواراً بين الحضارات، يزيل سوء الفهم الناجم عن الجهل بالآخرين.

وفي ظل اختلال ميزان القوة بين الحضارات كان من الطبيعي أن تتحكم الحضارة الأقوى في حوار الآداب هذا؛ حيث تتخذ الحضارة القوية من أدبها المعيار الذي ينبغي أن تقاس به الآداب الأخرى. بل إن أحد أشهر المشتغلين في الأدب المقارن، وأعني به (ريتشارد مولتون) لا يتورع عن وصف الأدب العالمي بأنه (سيرة ذاتية للحضارة)، مما يعني أن الأدب الغربي، المكتوب باللغات التي تتكلمها شعوب أوربا وأميركا الشمالية، هو مرحلة النضج والاكتمال للظاهرة الأدبية، طالما أن الأدب العالمي يمثل قصة وحيدة متماسكة يرويها شخص وحيد ينتسب للحضارة الغربية، والأدب الذي يستحق أن ينتسب إلى (العالمية) لابد أن يتماهى، من ثم، مع الأدب الغربي، أي مع الأدب من منظور المعايير والضوابط الغربية.

ومن مظاهر تحكم الحضارة الغربية في حوار الآداب هيمنتها على حركة الترجمة من لغاتها وإلى لغاتها هيمنة مطلقة، في ضوء سياسات لا تنتمي إلى الأدب بقدر انتمائها للمصالح، ولما ترسّب في الوجدان الغربي من أفكار وخيالات تجاه الشعوب والأمم الأخرى.

ونتيجة العلاقة المأزومة مع الحضارة العربية الإسلامية، لأسباب عديدة لا مجال لذكرها هنا، نجد أن ترجمة الأدب العربي الحديث والمعاصر إلى اللغات الرئيسة في الغرب محدودة جداً، ولا تعبر عن حقيقة هذا الأدب، ولا عن مستواه، ولا عن تمايزه وفرادته وخصوصيته.

ولا يتوقف الأمر عند ضآلة ما يترجم قياساً بما يترجم من الآداب الأخرى؛ بل إن ما تمت ترجمته من الأدب العربي لم يخل، في معظم الحالات، من شوائب سياسية وقيمية؛ إذ يتم الاحتفاء، غالباً، بالأدب المنشق وبالأدباء المنشقين، الذين يسفّهون القيم العربية ويزدرونها. كما يتم الاحتفاء بالأدباء الذين يكتبون للغربيين ما يحب هؤلاء أن يقرؤوه عن الشرق كما ترسخ في أذهانهم، خصوصاً ما يتعلق بدنيا الحريم والجنس وما يدور في قاع المدن الشرقية من دسائس ومؤامرات، لأن الشرق في المخيال الغربي هو جغرافية ألف ليلة وليلة، والقوافل المحملة بالتوابل والأفاويه، والأسواق المكتظة بكل ما هو غرائبي. والفكر العربي، برأيهم، لا يعدو أن يكون وصفات متسلسلة من الوصايا الإرهابية، التي تمجد العنف والقتل والرياء والنفاق.

وإذا كان هاجس (العالمية) مازال يراود كثيراً من الكتاب والشعراء العرب، وهو هاجس مشروع ومسوّغ، إن بقي في حدود الطموح والاجتهاد، وإن استطاع أن يفرض النصوص التي ينتجها هؤلاء على نقاد الغرب، وأن يدخل إلى هذه (العالمية) من أبواب الفن والأدب والإبداع...

إلا أن بعض هؤلاء الكتاب والأدباء والشعراء أرادوا أن يدخلوا إلى (العالمية) من أبواب السياسة والشللية والارتباط ببعض المنظمات والجهات ذات الأهداف المشبوهة، التي اعتادت الاحتفاء بكل من يناوئ العروبة والإسلام، وبكل من يتبنى سياسات التطبيع مع العدو الصهيوني. وقد رأينا بعض المبدعين العرب، ممن أغواهم بريق الجوائز التي توصف بالعالمية، وممن استبد بهم هاجس (العالمية) الذي يعمي ويصمّ، كيف وقعوا في المحظور الذي تحرمه القيم الوطنية والقومية والأخلاق... ووصلوا إلى درجة خيانة النفس، وخيانة التجربة الإبداعية التي جعلت منهم نجوماً في مرحلة من المراحل.

شيخ الجهاد.. صالح العلي

مالك الرفاعي

الملهمون من الورى الشعراء
والملهمون الأرض والشهداء؟!
يتطلعون إلى الوجود كأنهم
رسلٌ تشاء دماؤهم ما شاؤوا
تتبسم الرؤيا على آفاقها
ويضمّها: المعراج والإسراء
بوحٌ على بوحٍ وحسبك فيهما
تتعانق الآيات والآلاء
والشعر ذوب النور يشرق في الدجى
فتذوب في إيهامها الظلماء
أشعلت جرح الأبجدية في دمي
فكتاب شعري ثورةٌ حمراء
تتوهج الآهات عبر سطوره
وعلى المهامه لوحةٌ سوداء
أقسمت لولا حافظٌ وشموسه
لم تبق فيه صفحةٌ بيضاء
فلو استضاء التائهون بنوره
لم يحسبوا موتى وهم أحياء
والأرض عرضٌ وقد تمزق ثوبها
وبغى عليها الأهل والأعداء
كم مرةٍ جئنا نرتقه لها
ويغار منا أهلها الضعفاء
من ليس تحفزه كرامة أرضه
صوناً، فكل حياته استجداء
أين الضمير الحي يوقظ أنفسنا
ويد العروبة في الوغى شلاء
أقسمت لولا ما تبقى من دمٍ
لم تلق فيهم صخرها الخنساء

* * *

يا أيها الشيخ المشع يقينه
أأتاك ما فعلت بنا الأهواء
تتقاسم «النكراء» شمس تراثنا
وضح النهار وتجرؤ (النكراء)
شيخ الجهاد أما حننت إلى الوغى
ليكون كنه النصر كيف تشاء
قم واستبق ماضي الزمان إلى غدٍ
فغداً يلوث فجره السفهاء
ويدنس الأحرار في عين الضحى
ويقدس الباغون والشركاء
لولاك ما عرفوا هنالك منقذاً
وتطلّعاً تسمو به الآراء
في الشيخ بدرٍ صلت صولتك التي
من هولها كم أثخن الأعداء
ولو يجرون الهزائم خلفهم
وأمامهم تتكدس الأشلاء
و(بعين فتوح) كسرت غرورهم
فهم أمامك أوجهٌ صفراء
و(بوادي ورور) قد فتكت بجندهم
فالحق عزٌ والغزاة هباء
وقرأت (بسم الله) فانتبه الضحى
وهفت تكبر باسمك الأمداء
يا ثائراً شدو الرصاص نشيده
وله يطيب السمع والإصغاء
أسست نهجاً للكفاح متوجاً
من وهجه يستلهم الشعراء
معناك سرٌ للبطولة خالدٌ
صرحٌ يتوق لأفقه الأبناء
كنت الرحيم وما رحمت جموعهم
فكأنك السراء والضراء
شهدت لك الأعداء يوم نزالهم
(والفضل ما شهدت به الأعداء)
هذا ضريحك في الثريا والثرى
تختال في أمدائه الجوزاء
يغدو الضريح محجةً وظلاله
تهفو إليه الصيد والعظماء
لك في رحاب المجد سورة ملهمٍ
وبنفس كل الملهمين حراء
وقصيدتان هما الفصاحة كلها:
جرحٌ أضاء ورايةٌ بيضاء
ويحف مرقدك الندي جلالةٌ
ومهابةٌ وقداسةٌ وضياء
وفتحت أبواب الجهاد إلى العلى
فتسابق العقلاء والخلصاء
ونسجت درع الله من آياته
فأضأت يوماً نوره الشهداء
يوماً أتاه السنديان مكلماً:
إني هنا قبل الجلاء، جلاء
أهدافنا عربيةٌ، وقلوبنا
أسديةٌ ونفوسنا أضواء
شهداؤنا أبداً ملائكة السما
والله يعلم من هم الشهداء

* * *

يا مالئ الدنيا وشاغل ناسها
هل بعد عندك كوفةٌ غناء
الروم صارت عند قومي رايةً
وحماتها الزعماء والرؤساء
أنا لست أعجب أن يخون عروبتي
من أولدته دايةٌ شمطاء
وغذته من أثدائها روميةٌ
وحنت عليه الحية الرقطاء
بغداد جرح الكبرياء بأمتي
والكربلاء يتيمةٌ عذراء
آهٍ على مجد النخيل ودجلةٍ
فالماء دمعٌ، والدموع دماء
يتفجر البركان في واحاتها
والأرض تغلي والسما حمراء
وعلى الدروب قنابلٌ موقوتةٌ
وإذا الربيع تروعه الأشلاء
يمشي الجريح على القتيل مضرجاً
والطب ضاق وما هناك عزاء
وإذا السواد على النهار مخيمٌ
والليل من حمم الجحيم مضاء
سقط القناع عن الذين تخاذلوا
وتبين العملاء والحلفاء
لم يبق إلا الشام حصناً صامداً
ولها النفوس الساميات فداء
بشار عنوانٌ لوقفة أمةٍ
وهما يداه: البشر والأنداء
بصموده يزكي العزائم والرجا
وبفكره يستبشر الحكماء
أعطاه رب العرش سراً غامضاً
فكأنما يسمو به الإيحاء
بغداد عذراً ما أبنت لواعجي
فأمام جرحك يعجز الفصحاء
والجرح أبلغ من قصيدة شاعرٍ
عصماء أعجب حسنها الشعراء
وأنا الجراح فكل جرحٍ نازفٍ
جرحي، وكل مدينةٍ فيحاء
أمي العروبة أنحني لجلالها
وأبي التراب وإخوتي الأبناء
مازلت أرجو مطمحاً أسعى له
فالهم عندي همةٌ شماء
ستظل بغدادٌ قيامة شعبها
ما دام فيها نخلةٌ خضراء
والشام حاضنة العروبة والهوى
أمرٌ قضاه الله والشرفاء
متسابقون إلى لقاء عدونا
مترفقون بأهلنا رحماء

رسالة عاجلة من القنيطرة:

إلى خالد بن الوليد

محمود حامد

*.... هِيَ دمعةٌ في الياسَمينِ تَلوحُ
ما كانَ... آهٍ... بما تَراهُ تَبوحُ
ظلّت تَغَصُّ على الجراحِ، كأنّها
والشّامُ: حَوْرٌ، موجَعٌ، مَذبوحُ
تشكو أساها للتُّرابِ، لَعَلّهُ
يَحْنو عليها... والتُّرابُ ذَبيحُ
قَتَلَتْهُ أوهامُ العُروبَةِ... باسْمها
دَمُ كُلِّ حُرٍّ... ها هُنا... مَسْفوحُ
يا غُرْبَةَ الشُّهَداءِ عَنّا، كُلّما...
ضَجَّتْ بِهِمْ في الشّاهداتِ الرُّوحُ
واللّافِتاتُ البيضُ أضحتْ عتمةً
ذهبتْ بها... في العاصفاتِ... الرّيحُ
آهٍ دمشقُ، وكلُّ جُرْحٍ غضبةٌ
تجتاحُ فينا كِبرَنا، وَتَصيحُ:
تلكم فلسطينُ السَّليبةُ، مَنْ لَها
والدَّرْبُ... نَحْوَ جُنوننا... مَفْتوحُ
تاريخُنا وَهْمٌ، وأكبرُ كذبةٍ...
عشنا عليها، والدّليلُ كسيحُ
حَرَفَ الخُطى عن دربها فإذا بنا
زَبَدٌ على صَمْتِ الأسى مَطروحُ
يا باكِيَ الأطلالِ، فابْكِ زمانَنا
هذا، وَقُلْ... زَمَنُ الخَرابِ فَسيحُ
تكفي لنا في الرّيح فُسحةُ خيمةٍ
تأتي بأحلامِ المُنَى، وتروحُ
فاحملْ لتوبادِ العُروبَةِ قَيْسَهُ
يبكي على ليلى دماً، وينوحُ
فلقدْ مَضى زمنُ الرّجالِ، ولم يَعُدْ
في السّاحِ إلّا الحِقْدُ، والتّجريحُ
قالوا: ربيعٌ يعربيٌّ... قادِمٌ
فمتى سيمضي راحلاً، ويُريحُ
لَمْ يَبْقَ من وهجِ العُروبة يا أخي
إلّا الذي يومي بِهِ التّلميحُ
ونخافُ لو زدنا... نزيدُ مرارةً
فانهضْ... فليسَ لميّتٍ تَوضيحُ
آنَ الأوانُ لوثبةٍ تُحيي بنا
حطينَ... يا بَرَدَى... وذاكَ طموحُ
أنْ يَسْتَرِدَّ الياسَمينُ للحظةٍ
عَبَقَ العُروبَةِ، والجليلُ يلوحُ
مِنْ قاسيونَ... وكلُّ رعشة خافقٍ
هِيَ نكهةُ الوطنِ السَّليبِ تَفوحُ
برحيقِ زعترِها، وَحَوْرِ شآمِها
وَطَنُ العُروبةِ تفتديهِ الرّوحُ
عشنا على هذا، ونَقضي، والمُنى
كبرٌ يَرُجّ السّاحَ، وهو جريحُ

***

وأنا القنيطرةُ الأبيَّةُ، رُدّ لي
يا بْنَ الوليدِ الصُّبْحَ... حيثُ يلوحُ
واركنْ إليّ... فصدرُ شعبي موطني
وَهَديرُ جرحي في الثّرى التّسبيحُ

كأنك ضجرت من الخريف!!

بديع صقور

إلى روح» بحار سارغوتا»
الشاعر الراحل فيصل خليل

حللت الشراع..
كأنك ضجرت من الخريف
كأنك مللت انتظار «بحار سارغوتا»
وبقية المسجلين في دفتر الريح
كأنك وهج نارٍ خمدت
في زمن الأشرار التائبين
كأنك فوق ذرا المعابد المنسية تحت ركام الغيم
لتلمّ نرد الأيام السالفة عن سفوح المطر
ولتسرّحها مع قطعان السنديان..
كأنك على تلال « الجنجانية *» بقية مؤمنين وحالمين
مسلوبين, ومسبيين..
قتلة و ضحايا, غرقى ومبحرين
تقطعت بهم سبل الموج وأحلام الرجوع.
«المسرحية تستمر» عبر الأزل
وكأنه لا مخرج للتيمم من نار الإثم
سوى القتل.

***

أول الحياة, وآخر الأوهام
بين الحسكة واللاذقية
تلامذة غائبون
دفاتر وأقلام..
ومقاعد من غبار
وجوه عجاف
سنين عجاف
وزوبعة تبعثر أكداس البيادر والطيور
عربة تلهث
الطريق يفضي إلى خريف مقيم
ومعلمون حالمون..
حفاة يزنرون خصورهم بعباءات رثة
وبقليل مما يستر الأجساد اليابسة.
أراض شاسعة وعارية..
وقليلٌ من الماء..
قليلٌ من الخبز
وقليلٌ من الهواء.

***

«فضاء شاسع للحبّ»
ذكريات طافحة بالماء والقوارب..
وأورق شجر الخابور
سكارى و غرباء
أنت وأنا و»خوشابا»
«تل تمر» ونبيذ معتق في جرار الحكايات
ماء يفور في «رأس العين»
وناجي يلاعب وتر «الجمبش* »، ويغني:
«يا خودي.. يا خودي»
« وإيلشوا» تراقص القمر تحت فيء رمانة الحبّ
فتعبق رائحة «نينوى» على كلّ الجهات
وينهض «آشور» من قارورة العطر..
صفصاف ومواويل, وكؤوس تقرع
«ماردين» أخفض من سماء وأعلى من صوت
بقية لاجئين هبطوا من السفوح العارية
وبقية أغنية لـ» سوسن بنت عبد النور»
«وسوسن بنت عبد النور لاجئة خليلية..
غريبة النظرات مسبية
وعبد النور والدها يبيع الفستق الحلبي
وأمها تعمل في بيوت الناس.. كل الناس»
وعبد النور والدها يبيع خردة النكبة
أعلام حمراء, وأحزاب وطنية
هتافات ومنابر صالحين
بلاشفة ووطنيون محكومون بتوحيد الممالك الغابرة
قرقعة سلاح ومناهضون, وأعداء
تتنافر الألوان, ويستنفر السراب
يتمترس العطاش في ردهات الزوابع
حاملين رايات الاستسقاء
يهللون, ويلوحون بقمصان أرواحهم
للغيم الهارب خلف حدود الغيث..
هاربين من صيفٍ جديد
ومنتظرين «حجراً لا يؤكل»
مقاعد خاوية وسبورة معلقة على جدار الفجائع
أصابع مدماة تغتسل بينبوع القصيدة
تسافر فوق صهوات الزرقة محملة برائحة الخابور والطين
سقناها إلى بوابات دمشق
حيث شعراء مغتبطون بالتسكع والشتائم وملاحقة
نساء يرفلن بأثواب بردى..
تنتابنا الدهشة..
تعيدنا صور الأمس إلى ملائكة الطين الحفاة
تستر أجسادهم غمامات من دخان..
ويغطي السواد دروب سماواتهم المعتمة..
«مطالعة في كتاب السيدة»
تجسه امرأة بأصابع خوفها
لتسوي شعرَ ليلةٍ قمراء
مغطاة بأوراق ربيعٍ يتكور تحت غلالة الفجر.
واقفة تنتظر على قارعة شارع «القاهرة»
حصاناً أخضر
وشجرًا يكاد أن يورق
قبل أن تجفّ ينابيع الأرجوان
وقبل أن تذبل سنبلتا الصدر
وقبل.. متى يعود؟!

***

في فوضى الظلام يقتل الموتى موتاهم
ويؤكل الحجر..
ينام الذئب في حضرة الأضاحي.
تذبح العصافير «بدل الوقت الضائع»
تسوقنا ملائكة الهدايات إلى آخر الفتح..
آخر النهايات نصير نذوراً لسماء بعيدة
ستبقى الأرض.. هكذا..
هكذا.. كأنك ما تركت الأرض
كأنك تواً رحلت..
وكأننا نعتلي خيلاً من غبار..
وغداً, كأنك إن رجعت
سترى الأرض بيتاً غريباً
تتزاحم الأرواح فيه
وتعود تطير مثل قطا
وحيداً يموت القطا
فيصل خليل أيها القطا، وداعاً.

الجنجانية : مسقط رأس الشاعر الرحل فيصل خليل.
عام 1972 كان أول تعيين لنا كمعلمين في مدينة الحسكة، وكان من بيننا الشاعر الراحل فيصل خليل.
ما بين قوسين أعمال و مقاطع للشاعر الراحل فيصل خليل.
الجمبش : آلة موسيقية وترية تستخدم في الجزيرة منذ القدم.
ياخودي : في الكردية تعني يا الله.

الأيـــام

محمد علي علي

شمس صباح هذا اليوم تنشر أشعتها الذهبية الدافئة على الشوارع والـدروب والمحال التجارية التي بدأت تفتح أبوابها، وعلى الأشجار المنتشرة في كل الأماكن في المدينة الهادئة الوادعة.

تنظر في صفحة ساعة يدها، لا تزال في السابعة والنصف، ولا يزال الوقت كافياً للذهاب سيراً إلى عملها في الدائرة الحكومية التي لا تبعد مسافة طويلة عن منزلها.. إنها لا تريد الذهاب بسيارتها التي اشترتها منذ مدة قصيرة.. صحيح أنها تحب هذه السيارة، وتحب قيادتها، وهي تشعر بكثير من الفرح عندما تكون فيها؛ لأنها اختارتها بكثير من التدقيق: أحمر قانٍ لونها. صغيرة الحجم، وسريعة الحركة. هكذا تحبّ أن تكون سيارتها؛ ولكن روعة الصباح وجماله، وإحساسها بالنشاط دفعتها للذهاب ماشيةً إلى عملها.

***

تغلق باب منزلها، وتتركه بلا أي قفل؛ لأن زوجها الذي كانت تنام إلى جانبه قبل قليل لا يزال نائماً متعباً متعباً.. قبل أن تخرج ألقت نظرة عليه، كان ينام نوماً عميقاً عميقاً. صحيح أنه لا يشخر، ولكنه يبدو وكأنه فاقد للحياة؛ لأنه لم يُحسَّ بكل الأصوات التي أحدثها الابن والابنة الصغيران قبل ذهابهما بواسطة السيارة إلى الروضة القريبة من المنزل.

***

في طريقها إلى عملها تتذكر أنها نامت في الليلة الماضية شبه عارية، كانت تتمنى أن يأتي زوجها من العمل مبكراً لهذا المساء، وأن يلاطفها، وينام إلى جانبها باطمئنان يتحسس جسدها المشتعل لتشعر به زوجاً محباً، لكن هذا لم يحصل، جاء بعد الثالثة ليلاً، تفوح منه رائحة عرق الجسد، ثم رمى بنفسه على السرير كذبيحة ميتة من دون أن تشعر به زوجاً.

***

سناء الآن موظفة، لقد بذلت جهداً ليس قليلاً للحصول على الوظيفة التي لم يكن زوجها راضياً عنها.. إنه يريدها أن تبقى في المنزل لا تخرج إلا بإمرته، ولا تقوم بزيارة أحد إلا برضاه؛ فهي زوجة التاجر، الذي يتمتع بدخل وافر، وليس في حاجة إلى أي دخل تقدمه زوجته، ولكن سناء التي رأت في الوظيفة تحرراً لها اقتصادياً واجتماعياً، لم تقبل بالتنازل عن حقها بها، وإلا لمَ درست وتخرجت من المعهد المتوسط؟! ألتدفن نفسها بين حيطان المنزل المملة؟!.

***

تتذكر (رافـي). كم كانت تتمنى أن تراه عندما كانت في المرحلة الثانوية. صحيح أنه كان يحدثها باضطراب، وكانت ترى احمرار وجهه، وتلعثم كلماته، كلما تجرأ واقترب منها للتحدث إليها، ولكنها كانت ترغب فعلاً أن تراه، وكانت تشعر بالسعادة تغمرها عندما يكون بانتظارها؛ حتى تمر مع زميلاتها في المدرسة، وكانت تدرك تماماً أنه لم يكن ينتظر أية صبية غيرها.

عندما اتصل بها لأول مرة، أحست وكأن أجنحة قد نمت لها وطارت في السماء التي فتحت أبوابها لاستقبالها، وعندما حطت من طيرانها أحست بنسيم ندي يغمر قلبها، وببرودة لذيذة أشبه بندى الفجر في الصباحات الصيفية الجميلة؛ فافترت شفتاها عن ابتسامة السعادة والفرح.

***

رافي يعرف أن سناء متزوجة، وأنها أمٌّ لطفلين، وأكثر من ذلك فإنه يعرف زوجها التاجر، وابن التاجر.. صحيح أنه لم يكن صديقاً له أيام الدراسة الثانوية التي عدّها التاجر مرحلة دراسية نهائية، بينما (رافي) أتم دراسته في الهندسة، وهو يعرفه جيداً، وقد التقى به في بعض حفلات الزواج غير مرة، وجالسه وتحادث إليه.

***

عندما لجأت إلى فراشها وحيدة تناهبتها الأوهام، وملأت رأسها التساؤلات، بينما زوجها غارق في أعماله، التي يحاول أن يجني منها الأموال الكثيرة، غير مدرك للهيب الجسد النامي داخل زوجته المرمية في فراش جاف بارد، وعندما اقتحم حياتها "رافـي" بواسطة هاتفه النقال، أحست وكأنها تستعيد صباها، الذي كان يتمشى في دروب المدينة وحاراتها، وهي لا تزال في سنوات شبابها الأولى.

***

عندما تقدم حسين لخطبتها، كانت الأيام قد تغيرت. وجدت فيه شاباً مقبولاً، ولكنها لم تدرك أبداً النهاية التي انتهت إليها.

أحست منذ اليوم الأول لزواجها بأسأ يغمر قلبها، ولكنها كانت دائماً تقنع نفسها بالقبول بمن تزوجت، إلا أنها ما لبثت أن تنازعتها الأحاسيس والأفكار. إنها الآن مقترنة به، ولكنها تحس من عمق وعيها، ودخيلة نفسها أنها بعيدة عنه، وأن ارتباطها به لا يتعدى العقد المكتوب على الورق، أما أحاسيسها ومشاعرها ففي مكان آخر، لا تعرف كنهه ولا تفسيره، ثم أخذت تحس شيئاً فشيئاً بالبعد عنه، لأنه ليس الرجل الذي يحقق أحلامها ولا رغباتها. أما صديقها القديم رافي فقد أخذت صورته تنمو في مخيلتها، وإن لم يكن ثمة تواصل بينهما، ولكن أسئلة كثيرة أخذت تتناهبها وتبرز من عمق وعيها.

لـماذا يتصل بها رافـي؟!.. لـماذا لـم يتقدم لخطبتها؟! لماذا لم يفعل أي شيء عندما تقدم حسين لخطبتها.. لماذا تركها تذهب هكذا إلى حسين الذي لا تحبه، ولا تكن في قلبها له أي حب، ولم يجمعها به إلا الرغبة في الزواج من أي شاب كان سيتقدم لخطبتها، ويكون غير مرفوض اجتماعياً ومادياً.. وهذا ما حصل فعلاً.

ولكن لماذا يظهر رافي في حياتها الآن؟! وإذا كان يظهر الآن؛ لماذا لا تستجيب هي لنداء الحب الذي أحيا حياتها، ومشاعرها وأحاسيسها التي كانت متجمدة سنوات زواجها قليلة العدد؟!.. لقد كانت تحلم به كل تلك الأيام، وكل تلك السنوات. وتوالت الاتصالات مع رافي؛ الذي أخذ يعبر لها عن حبه وهي تذوب حناناً في مكالماته الهاتفية المتوددة.

سناء أحبك. أحبك. سأتحدث إليك عن كل شيء عندما نلتقي.. تستطيعين المجيء إلى مكتبي الهندسي في شارع ابن النفيس، وهو معروف تماماً .. سناء أنا أحبك، ولا أستطيع الحياة وأنت بعيدة عني، وهي أيضاً كيف لها أن تعيش من دون أن ترى (رافي) الذي أحيا مشاعرها وأحاسيسها؟! لماذا لا تذهب إليه؟! إنها تحبه وتتمنى أن تسعد بلقياه.

***

بعد أن نام طفلاها أوت إلى فراشها البارد متدثرة بأغطية رقيقة، وقد تناهبتهاالأفكار.. تتذكر زواجها في يومها الأول.. كانت تحسب لذلك اليوم ألف حساب. كانت تظنه اليوم الأجمل في حياتها، ولكن حسين آلمها في يوم فرحها، فقلب الفرحة إلى أحزان. يمر شريط الذكرى مستعرضة أيام زواجها التي تراها اليوم مأساة لها، ثم تتوالى الليالي باردة صقيعية حتى ساعة استلقائها في فراشها وهي تتساءل. أين حسين الذي حاولت أن تبقي عليه الآمال؟!.

في اليوم الثاني لفرحها، تركها وذهب للسهر عند أهله حتى وقت متأخر من الليل في البناية المجاورة، وكم كانت المفاجأة مؤلمة لها، عندما علمت أنه إنما فعل ذلك ليثبت لها أنه لا يهتم بالمرأة بشكل عام، وبها بشكل خاص، وأنها بالنسبة إليه أمر ثانوي، وحتى لا يأتي يوم وتتجرأ فيه على الاعتراض على أفعاله؛ فأدركت تفاهة من تزوجت بهولؤم طباعه، حتى أخذت تعتقد أن حظها السيء ساقها إليه، ليصبح زوجها الذي لا تعرف كيف تحبه، وأدركت بدخيلتها أنها أخطأت في الزواج من رجل لا تحبه أبداً، ولكنها تجد نفسها ملزمةً به زوجاً كريها لها.. إنها تكرهه، حتى وهو يحاول الاقتراب منها وتقبيلها، ولكنها تستجيب لنداءاته، وهي بعيدة عنه كل البعد بأحاسيسها ومشاعرها. وأصبحت ترى التضاد في خلقتهإنه كبير الأنف، صغير العينين، مثلث الوجه، وهي لا تحب الرجل بهذه المواصفات.

***

منذ أن تـزوجت لـم تـرَ رافـي الـذي كـان يراها مـصادفـة، عندما تتجول فـي دروب المدينة وشوارعها، ولا سيما عند الغروب، كانت ترنو إليه وتعجب بقدّه الممشوق، وأناقته، وجمال شكله، وأحياناً كان يتحدث إليها ببضع كلمات قليلة غير متيسرة، بسبب وجود صديقاتها اللواتي يرافقنها في نزهاتها في أكثر الأحيان.

***

رنَّ جرس الهاتف النقال في محفظتها. صوت رافـي الـذي تحب خشونته يدعوها لزيارته إلى مكتبه. الشمس ترسل خيوطاً مذهبة عبر نافذة مكتبها الذي تعمل فيه.. تحس بسعادة غامرة، وكـأن أشعة الشمس وضـوء النهار يشاركانها الفرحة الغامرة، وشعور لا تعرف تفسيره.. وتحس وكأن أبواب الحياة أخذت تفتح لها.

اليوم هو يـوم خميس.. إنـه اليوم الأخير من الأسبوع، ولا بأس من أخذ إجازة لساعتين قبل نهاية دوام يوم قصير.

***

بـدت غرفة الاستراحة في مكتب رافـي مؤثثة تأثيثاً بسيطاً، ولكنه ينم عن ذوق خاص لمصممها متناغمة الألوان الهادئة للمقاعد وستائر النوافذ الرقيقة الناعمة المنسدلة حتى نهاياتها؛ وكأن المكتب كله مهيأ لاستقبال الصديقة القديمة التي شغلت باله خلال كل السنوات الماضية التي عبرت أمام ناظريه الآن، وهو يلاحق سناء، ويحاول التحدث إليها.

الساعة قاربت الثانية عشرة. لا يزال الوقت طويلاً للوصول إلـى المنزل، وحسين لا يـزال في محله التجاري، وطفلاها لا يزالان في الروضة، والآن هي في مكتب رافـي، الـذي كانت تسعد عندما تراه يلاحقها في الدروب إلى المدرسة، والحارات التي كانت تقطعها في وصولها من المدرسة إلى البيت.

***

سناء أحبك.

وأنا أيضاً.

وتحس باضطراب في جسدها، ولكنها متماسكة، فهي في مكتب صديق تحدثت إليه مرات عديدة.

ينهض رافي إلى المطبخ، يريد أن يغلي فنجانين من القهوة، بينما هي غارقة في صمتها. يقدم لها فنجان القهوة، وهو يقرب رأسه منها، فتحس بأنفاسه عطرة مختلفة عن أنفاس ومجاملات حسين.

يجلس إلى جانبها.. يمسك يدها وهو يقول لها:

- اشتقت إليك.

وأنا أيضاً مشتاقة إليك.

ولأول مرة تحسُ برغبة أن يضمها رافي ويقبلها، ولكن رافي لم يفعل. أمسك يدها فقط. يزداد وجيب قلبها، وتحس بأن الحياة تضجُ في جسدها الذي تحس به الآن يمتلئ أنوثة.

يقترب منها رافي، وبحركة تبدو طبيعية، ولكنها مفتعلة تلامس يده شعرها، فتبتسم له ثم تقرب جسدها منه.. يمد يده إلى خصرها، فيزداد قربها منه.. تحاول تقريب وجهها من وجهه ثم تتمتم:

- قبلني.

يقترب منها رافـي، وقـد نهضا عن الأريكتين المتلاصقتين. يضمها إلى صدره؛ فتحس بحرارة أنفاسه تلفح وجهها.. تصل شفتيه إلى عنقها، ثم إلى أسفل أذنها اليسرى فتميل برأسها نحو الجهة اليمنى مستجيبة لمداعباته المتلاحقة، وهو يقول لها:

أحبك.. أحبك يا سناء؛ ثم لا يلبث أن يتركها رافي، وهو يقول:

لقد نسينا القهوة.

يجلسان. يرتشفان قهوتهما بسرعة.. يحتضنها رافي وهي على الكنبة فتنحسر تنورتهانحو الأعلى، ليظهر فخذاها المدوران.. يمد يده إلى فخذيها يتحسسهما.

أرجوك رافي. لا تفعل شيئاً.. أحبك.

تزداد مداعباته لها فتتمتم بصوت خفيض.

قبلني رافي. دعني أشعر بك إلى جانبي. أحبك.

وأنا أحبك يا سناء.. أحبك أكثر من كل شيء في هذه الدنيا. يبتعد وجهه عن وجهها المضرج حمرةً، وحرارة، فتشده إليها.

لا تتركني رافي.. لا تبتعد عني.. أحبك.

ينفتح زر قميصها الزهري، فيظهر ما بين ثدييها. تتمشى يده على ثديها الأيسر ثم على ثديها الأيمن، ثم على كامل الجسد الذي يضج أنوثة؛ لتصبح بين يديه كقطعة تنتفض رغبة وحرارة وشوقاً، بينما زوجها حسين لا يزال يحاول زيادة أرباحه في محله التجاري.

محمد علي علي

صليل الدروب ...

كريم سمعون

صليلُ دروب،

وقعقعة

دوائر حلباتٍ وضفاف محفوفة

واشتهاء .

جنان بعيدة .. قليلاً،

غلمان وحوْر

حديد بارد .

جزرة في مهبّ المرام.

قعر أمسٍ دامسٍ، وأمزجة تهاوت في سعيرها

المعهود .

ضريح مسيح يئنّ

ومستقيم افتراضي مخادع،

سيعلن اعوجاجه إذا ما غادر نقطة البدء.

زمان بَطي، يعجّ بموائد الغرانيق،

مزاج سيدي (الباي)،

غادرته بعض نشوة

وقفّازه الأنيق،

يصرُّ على كرم الضيافة !!

بلباقة خارجة عن المألوف .

ولياقة حمقاء.

مولى يُبضعُ الأفيون في ساحاته العتيقة

وأنياب رغيف،

تتفرّس قرابينًا ذاكية أعناقها.

ناووس مرمر أنيق،

تتوخى زخرفاته،

نواتئ عظيمات أكتافٍ.. نصف عارية .

أنا لست فارسًا لا يُشقُّ غباري ..

لا أُلفتُ نظر مضمار تصفيق الأعناق المشرئبة .

لا أشتهي .

ومعشوقتي الزبّاء..

لا تحبّ ملمس الحديد

يتوعّك سمعها لصليله الطروب

أناملها..

تتبرّأ من نعومة الفولاذ .

بإجاج دمع مسرفٍ.. حدّ العذوبة

قالت: سأبتعد؛

لتستقيم الحياة ..

قيد انتظار

فاديا غيبور

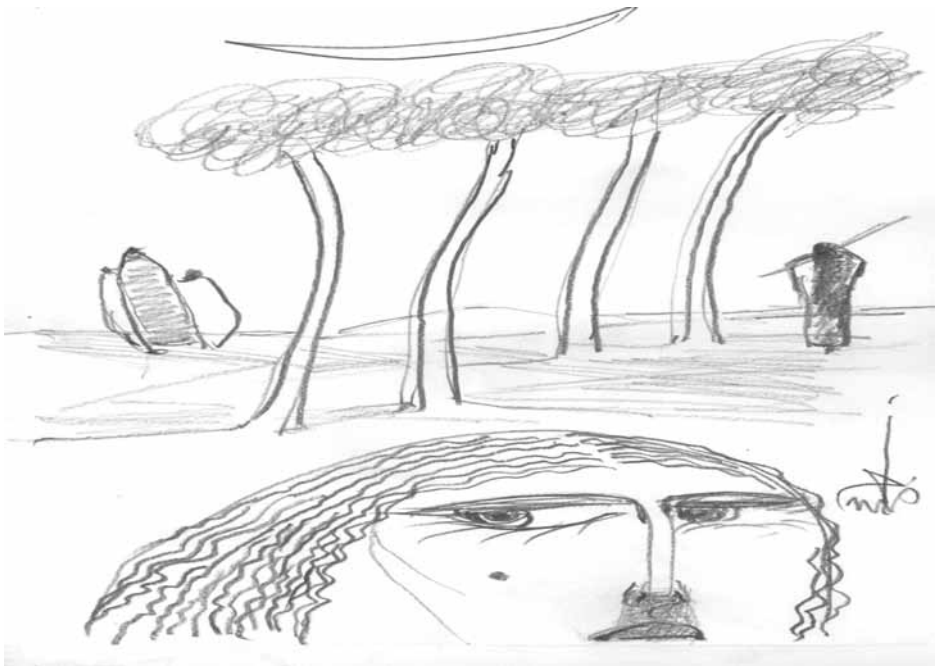

في القلب تشتعل الحرائقُ..

والدماءُ تفيضُ من حزنٍ ومن ألمٍ

يوزّع في الصباح رمادَهُ..

ويلمُّه عند المساءَ بصدرِهِ

حتى إذا عيناه أُغلِقتا على صورٍ ملوّنة وأخرى

بات يُحرقها الهجيرُ فترتمي

بين الدماءِ وبين جمر الحزنِ والأوجاعِ وهي تصرُخُ:

يا.. وطنْ..

أين الوطنْ؟!..

ويجيبُ آسرُنا الحبيبُ:

أنا ها هنا...

أنا ها هنا..

ما زلتُ أقرأُ في الصباحِ وفي المساءِ وجوهكم وقلوبكمْ..

وأصوغُ أفراحَ الطفولةِ والصّبا

ورؤى البيوت الغافياتِ على المحبةِ والصفاءِ

ألمُّ بالعينينِ أشواكَ التعبْ..

لكنني..

ويغيبُ في ظلِّ الرصاصِ الصوتُ..

تهمي وردة حمراءُ ثالثةٌ.. ورابعةٌ.. وَ..

تتلفّتُ الأشجارُ واجفةً

وترحلُ في مدارِ النّارِ..

تشتعلُ الجهاتُ ويسألُ الأطفالُ عن جيرانِهمْ..

فيقالُ: قد رحلوا.. ولكنْ قدْ..!...

وتكمِلُ دمعةٌ نصفَ الكلامِ

ودمعةٌ.. تهمي وينهمرُ الظلامْ

- من أين جاؤوا؟!..

كيف أشرعْنا النوافذ للأحبّةِ عمرَنا..

والأصدقاءُ؟!...

بالأمسِ كانوا أهلنا ورفاقنا.. أحبابَنا...

واليومَ.. يا لليومِ.. ما أقسى تفاصيلَ الليالي الآفلاتِ

وما تورّدَ في دُجاها من حنينْ!...

بالأمس كانوا يسكنونَ حياتَنا.. وقلوبَنا

كم بيننا خبزٌ وملحٌ في الشمالِ وفي الجنوبْ..

كم بيننا شعرٌ ونثرٌ في الجنوب أو الشمالْ

كم بيننا يا بحرُ..

يا أنهارَنا الظمأى من الأشواقِ

والبوحِ المسائيِّ الذي ما زالَ يذكرُنا على

أبواب ديرِ الزورِ

أو في رّقةِ الأحبابِ في طرطوسَ والحسكة..

كم بيننا يا بحرُ من وجعٍ ومنْ شوقٍ

تجذّر في معابرِ عمرِنا المجروحِ

إذ يبتلّ بالأحزانْ!...

كم بيننـــا!..

بالأمسِ كانت حمصُ موعدَنا الجميلَ

وكان زهرُ الياسمين مسافراً بين الغصونِ الراقصاتِ

تضمُّ أشرعةَ القصائدِ عنْ شفاهِ المبدعينَ القادمينَ منَ الجهاتِ جميعها..

لا فرقَ بين دمشق والبحرينِ أو لبنانَ والأردنِّ

والقلبِ المعلّقِ فوق القبّةِ الخضراءِ والأقصى الحزينْ..

والقدسُ تجمعُ شملنا في القدسِ أو بغدادَ أو بيروتَ أوعمّانْ..

لا فرقَ بين وجوهنا وقلوبنا..

لا فرقَ بين قصيدةٍ وقصيدةٍ إلا براعةُ شاعرٍ

ملكَ المفاتيحَ العصيّةَ للقصيدةِ وهي تكتبُ روحَها

فوقَ السطورِ وتنثني نحو القلوبِ بسحرِها..

ونروحُ نهمسُ في مساءاتِ الحنينْ:

- (أللـــهُ!. يا.. أللـــــهُ..

كم رقصتْ قصائدُنا القديمةُ والجديدةُ بين زهرِ الياسمينْ؟!..

أللـــهُ!. يا.. أللـــــهْ.. يا حمصُ «العديّةُ»

يا قصيدةَ شعرِنا وملاذنا؟!..

هل كان ديكُ الجنِّ مجنوناً بوردِ الروحِ

مسكوناً بطلعتِها يـروحُ يقصُّ رؤيـاهُ على الركبانِ

إنْ حلّوا وإن رحلوا إلى البتراءِ

أو صنعاءَ أو بيروتَ والبصرةْ..

فيا (أعرابُ.. يا.. أغرابُ)... هل ماتَتْ عروبتُكم؟!..

بحقِّ اللهْ.. أجيبوني!..

-3-

مفجوعةً.. موجوعةً. أضعُ الخريطةَ قربَ وجهي

في الصباحِ وفي المساءِ أعانقُ المدنَ الحبيبةَ والقرى الخضراءَ

تعتمرُ الضبابَ وتنحني شوقاً إلى... النهرِ الفراتْ..

«يا نهرُ قفْ.. خذني معكْ»..

فالأصدقاءُ جميعهم كانوا هنا..

وأدقَّ بابَ البيتِ لم يفتحْ أحدْ

ويقالُ قد.. رحلوا.. ولكن!.. ربّما يأتون فيما بعد.. قدْ..

وأخبّئَ الدمعَ العصيَّ أجوبُ شوارعَ المدنِ البهيّةِ

أرتمي تعباً لأصرخَ:

أين أنتم أيّها الأحبابُ عودوا.. إنني..

بلْ إننا... قيدَ انتظارْ..

رسائلنا

قصة : غي دو موباسان
ترجمة : عبود كاسوحة

تؤدي ثمانية ساعات من السفر في القطار إلى النوم لدى بعض الناس، وإلى الأرق لدى بعضهم الآخر. أما أنا، فكل سفر يحرمني من النوم في الليلة التالية.

وصلت في حدود الساعة الخامسة إلى عند أصدقائي موريه دارتوس، لأمضي ثلاثة أسابيع في دارهم في آبيل. وهي دار جميلة بنيت أواخر القرن الفائت على يد واحد من أجدادهم، وظلّت ضمن العائلة. فلها إذن، ذلك الطابع الخاص الذي تمتاز به المنازل المسكونة دائماً والمفروشة، والتي تعجّ بالحركة والحياة من قبل الناس أنفسهم. وليس فيها ما يتغيّر. وليس ما يتبخّر من روح المسكن، الذي لم يفرغ من أثاثه قط، ولم تُنتَزَع منه مفروشاته، فاستُهلِكت وشحبت، وحالت ألوانها على الجدران نفسها. ولم ينقص شيء من قطع الأثاث القديمة، التي تجري إزاحتها بين وقت وآخر لتفسح مكاناً لقطعة جديدة، تدخل مثل مولود جديد بين أخوة وأخوات.

يقوم المنزل على أكمة وسط متنزّه منحدر حتى النهر, الذي يعلوه جسر حجري محدّب. وتنبسط من وراء الماء مروج، تسير فيها سيراً وئيداً أبقار سمينة شبعت من العشب المبتل، وتبدو عيونها الرطبة طافحة بالندى والضباب وبرودة المراعي. وإنّي لأحب مكان الإقامة هذا مثلما يحب المرء ما يتمنى امتلاكه من صميم قلبه. فأتوجّه إليه كل سنة في الخريف، بمتعة لا حدود لها. ثم أغادره بكثير من الأسى.

ويستقبلوني في تلك الأسرة الصديقة، والهادئة جداً، استقبال واحد من أقربائهم، وقد سألت رفيقي بول موريه، من بعد أن تناولت طعام الغداء:

- بأيّ غرفة خصصتني هذه السنة؟

- غرفة العمة روز.

بعد ذلك بساعة، اصطحبتني مدام موريه دارتوس، يتبعها أبناؤها الثلاثة، وهم بنتان كبيرتان وصبي صغير، لتنزلني في تلك الغرفة، غرفة العمة روز، حيث لم يسبق لي أن نمت فيها قط.

وحين صرت فيها وحيداً، تفحّصت الجدران وقطع الأثاث، و أوجه المكان كافة، كي تطمئنّ نفسي. فأنا أعرف تلك الغرفة معرفة ضئيلة، لأنّي دخلت إليها دخولاً فقط، مرات عدة. وقد ألقيت نظرة لامبالية على صورة مرسومة بالباستل، للعمة روز، التي أعطت الغرفة اسمها.

وتلك العمة العجوز روز، لم تكن تعني لي الشيء الكثير، بشعرها الموضوع في اللفائف، واحتجابها بجلوسها وراء زجاج النافذة. كانت في مظهرها امرأة صالحة من العهد القديم، امرأة ذات مبادئ وأسس تربوية، مجلّية في ميدان الحكم الأخلاقية والأمثال مثلما هي مجلية في المطبخ ووصفات الطهي. وهي واحدة من تلك العمّات اللواتي يفزع منهنّ المرح واللواتي هنّ، بوجههنّ المتغضّن، الملاك الحارس للعائلات في الضواحي.

وأنا، على كل حال، ما سمعت عنها كلاماً قط. ولم أعرف شيئاً عن حياتها ولا عن موتها. فهل هي من مواليد هذا القرن أم القرن السابق؟ وهل غادرت هذه الأرض بعد حياة مسطّحة أم مضطربة؟ وهل عادت إلى السماء بروح نقية لفتاة عانس، أم روح زوجة مطمئنة، أم روح أم حنون، أم بروح هزّها العشق هزّاً عنيفاً؟ وبم يهمّني ذلك كلّه؟ إنّ هذا الاسم فقط: «العمة روز»، يبدو لي سخيفاً وسطحياً وقبيحاً.

حملت أحد المشاعل كي أنظر إلى وجهها القاسي، المعلّق عالياً، ضمن إطار قديم من الخشب المذهّب. أمّا وقد وجدته بلا دلالة، ودميماً، بل منفّراً أيضاً، فقد أخذت أتفحّص الأثاث. كان تاريخه كله يعود إلى نهاية عهد لويس السادس عشر، وطراز عصر الثورة وحكومة المديرين.

فما من شيء قد دخل تلك الغرفة منذ ذلك الحين، لا من كرسي ولا من ستارة. وليس ما يفوح بذكرى أو يعبق برائحة نفاذة، رائحة خشب أو أقمشة، أو مقاعد أو سُجُفٍ، كما في بعض المساكن، فينمّ على أنّ قلوباً قد عاشت هنا فأحبّت أو تعذّبت.

ورقدت لكنّي لم أنم. فبعد ساعة أو اثنتين من التوتر، قرّرت أن أنهض مجدداً فأكتب رسائل.

فتحت خزانة صغيرة من خشب الأكاجو، مزخرفة بقضبان نحاسية وموضوعة ما بين نافذتين، آملاً أن أجد فيها ورقاً وحبرا. لكنّي لم أقع إلا على مسكة ريشة عتيقة جداً، صنعت من شوكة نيص، ومكسورة قليلاً من طرفها. وكنت على وشك أن أغلِق الخزانة حين اجتذبت انتباهي نقطة بزّاقة: إنّه نوع من رأس مسمار صغير أصفر، يشكّل بروزاً ضئيلاً مستديراً، في زاوية لوح خشبي.

أمّا وقد حككته بإصبعي فقد تراءى لي أنّه يتحرك. فقبضت عليه بظفرين اثنين، واجتذبته على قدر ما استطعت. فخرج بكل هدوء. كان دبوساً ذهبياً طويلاً، غُرِس وأُخفي في ثقب من الخشب.

فلِمَ ذلك؟ وفكّرت على الفور في أنّ القصد منه تشغيل نابض يخفي سرّاً من الأسرار. فبدأت أبحث. ودام البحث طويلاً. وبعد ما لا يقلّ عن ساعتين من التنقيب، اكتشفت ثقباً آخر مقابل الأول تقريباً، لكنّه داخل فرضة. فغرست فيه الدبوس، لتنبق لي قطعة صغيرة من الدف، ورأيت رزمتين من الرسائل، رسائل اصفرّ ورقها، وهي معقودة بشريطة زرقاء.

فقرأتها. وها أنا أنسخ اثنتين منها هنا:

«أنتِ تريدين إذن أن أُعيدَ إليك رسائلك، يا صديقتي الغالية. ها هي. لكنّ ذلك يتسبّب لي بألم كبير. فمِمّ أنت خائفة؟ من أن أُضيعها؟ ولكنّها في حرز حريز. ومن أن تُسرَق مني؟ ولكنّي حريص عليها، لأنّها أثمن كنز لدي.

بلى، فقد تسبّب لي ذلك بأشدّ أنواع الألم. وتساءلتُ ما إذا كان في أعماق قلبك شيء من الندم؟ وليس ندماً على أنّك أحببتني، ذلك أنّي أعلم أنّك تحبيني على الدوام، ولكنّه ندم على أنّك عبّرت عن هذا الحب العنيف على الورق، في ساعات ما كان بوح قلبك فيها موجّهاً إليّ، بل إلى الريشة التي كنتِ تمسكين بها في يدك. فنحن حين نحب، تجتاحنا حاجات للبوح، حاجات من التحنان إلى أن نتكلّم أو أن نكتب، ونتكلّم ونكتب. وإنّ الكلمات لتتطاير، الكلمات العذبة المنسوجة من الموسيقا والهواء والحنان، الكلمات الحارة والخفيفة، تتبخّر فور تلفّظك بها، وتلبث في الذاكرة وحدها، لكن لا يسعنا أن نراها أو أن نلمسها أو نقبّلها، كما الكلمات التي كتبتِها بيدك. رسائلك؟ بلى، إنّي أُعيدها إليك! لكن يا له من حزن شديد!

ولا ريب في أنّ الحياء الرقيق انتابك، في نهاية المطاف، من التعابير التي لا تمّحي. فلقد أسفتِ، في داخل روحك الرقيقة والوجلة، التي يؤثّر فيها تلوّن يكاد لا يُـدرَك، على أنّك كتبت لرجل إنّك تحبينه. ولقد تذكّرتِ عبارات أثارت شجن ذاكرتك، فقلت في نفسك: «سوف أصنع من تلك الكلمات رماداً.»

فكوني سعيدة وكوني مطمئنّة. فها هي رسائلك. وإنّي أحبك.»

يا حبيبي.

كلا، فأنت لم تفهم، وأنت لم تخمّن. ولست بآسفة البتة. وأنا لن أشعر بالندم أبداً على أنّي بحت لك بحبي. سوف أكتب لك على الدوام، لكنّك ستعيد لي رسائلي، فور تلقيها. قد أسبّب لك صدمة قوية، يا حبيبي، إذا ما ذكرت لك سبب هذا الطلب الملحّ. فهو ليس شاعرياً، على نحو ما تظن، لكنّه عملي. فأنا خائفة. لكنّي لست خائفة منك، بأي حال، وإنّما خوفي من المصادفة. فأنا مذنبة. لكنّي لا أريد أن يطال ذنبي أحداً سواي.

افهمني جيداً. يمكن لنا أن نموت، أنا وأنت. قد تموت من سقطة عن جواد، ما دمت تركب الجواد يومياً. ويمكن أن تموت بفعل هجوم، أو مبارزة أو مرض في القلب، ومن انقلاب عربة، وبألف طريقة وطريقة، إذ ليس سوى موت واحد، وهنالك من الطرق لتلقي الموت ما يفوق عدد الأيام التي ما تزال أمامنا لنعيشها.

حينئذ، سوف تعثر أختك أو أخوك أو زوجة أخيك على رسائلي.

فهل تعتقد بأنّهم يحبونني؟ أنا لا أعتقد بذلك أبداً. وفضلاً عن ذلك، هل يمكن لامرأتين ورجل، حتى لو كانوا يحبونني حتى العبادة، بعد اطلاعهم على سرّ - على سرّ مماثل - ألا يقوموا بإفشائه؟

يبدو أنّي أقول شيئاً قبيحاً جداً في حديثي عن موتك أولاً وعن الاشتباه بقلة أمانة ذويك.

لكنّنا سنموت جميعاً ذات يوم، أليس كذلك؟ وإنّه لشبه أكيد أنّ واحداً منا سوف يسبق الآخر إلى القبر. فينبغي إذن أن نستبق كافة الأخطار، حتى ذاك.

أمّا بشأني أنا، فسوف أحتفظ برسائلك إلى جانب رسائلي، في السر، وداخل خزانتي الصغيرة. ولسوف أريك إياها هنالك، في مخبئها الحريري، وهي راقدة معاً، جنباً إلى جنب، طافحة بحبنا، وأشبه بعاشقين اثنين في قبر واحد.

ولسوف تقول لي: «لكن، إن متُّ أنتِ أولاً، يا حبيبتي، فسوف يعثر زوجك على هذه الرسائل.»

إيه! فأنا من ناحيتي لا أخشى شيئاً. فهو أولاً لا يعرف المكان السرّي في خزانتي، كما أنّه لن يبحث فيها. وحتى لو عثر عليها، من بعد موتي، فأنا لا أخشى شيئاً.

هل فكرتَ أحياناً بجميع الرسائل الغرامية التي تمّ العثور عليها في أدراج النساء بعد مماتهن؟ أنا، من جانبي، فكّرت في ذلك منذ زمن طويل، وإنّ إغراقي في التفكير الطويل مراراً، قد جعلني أقرر أن أطالبك برسائلي.

وفكّر من بعد، في أنّ المرأة لا تقوم أبداً، أتسمعني جيداً، المرأة لا تقوم أبداً لا بإحراق الرسائل ولا بتمزيقها ولا بإتلافها، تلك الرسائل التي يُقال لها فيها إنّها محبوبة. فحياتنا كلها كامنة هنالك، وأملنا كله. انتظارنا كله وحلمنا كله. إنّ تلك الأوراق الصغيرة التي تحمل اسمنا وتلاطفنا بأشياء عذبة، إنّما هي ذخائر ورفات، ونحن، من جانبنا، نعشق الكنائس الصغيرة والمزارات، لا سيّما التي نُعدّ فيها قديسات. إنّ رسائلنا الغرامية هي شهادات على جمالنا، شهادات حسن وإغراء، وكبريائنا الحميم بوصفنا نساء، إنّها كنوز قلبنا. كلا، كلا، فالمرأة لا تدمّر أبداً وثائق حياتها. تلك الوثائق السرّية والعذبة.

غير أننا نموت، مثلما يموت الجميع، وعندها... عندئذ يعثرون عليها. فمن يعثر عليها؟ الزوج؟ لا بأس، فما يفعل بها؟ - لا شيء، إنّه يقوم بإحراقها.

إيه! لَقد فكّرتُ في ذلك كثيراً، كثيراً جداً. فكّر أنتَ في أنّ نساء يُسلِمنَ الروح كل يوم، وقد كنّ معشوقات، وأنّ الآثار والبراهين على سقطتهنّ تقع بين يدي الزوج، وأنّه ما من فضيحة تُثار قط، ولا تجري من مبارزة.

فكّر، يا حبيبي، في حقيقة الرجل، وحقيقة قلب الرجل. المرء يثأر من المرأة الحيّة. ويتصارع مع الرجل الذي يلوّث شرفها، ويقتله ما دامت تعيش، لأنّه... أجل، لماذا؟ إنّي لست أدري على وجه الدقة. لكن إن يتم العثور على براهين مماثلة، من بعد موتها هي، فإنّها تُحرَق، ويتمّ تجاهلُها، ويواصلون مدّ اليد مصافحين عشيق المتوفاة، ويكونون راضين جداً عن أنّ تلك الرسائل لم تقع في أيد أجنبية، وأنّه قد تمّ إتلافها. أوّاه كم أعرف من بين أصدقائي، رجالاً قد أحرقوا تلك البراهين، ويتظاهرون بأنّهم لا يعرفون عن الأمر شيئاً، والذين كانوا سيتعاركون بشراسة فيما لو اكتشفوها أيام كانت الزوجة على قيد الحياة. لكنّها ماتت. والمفهوم عن الشرف تغيّر. والقبر يعني سقوط العقوبة عن الخيانة الزوجية.

إذن، أنا أستطيع الاحتفاظ برسائلنا، التي تشكّل، وهي بين يديك، تهديداً لنا نحن الاثنين.

فهل تجرؤ على أن تقول إنّي لست على حق؟

أحبك وأطبع قبلة على شعرك.

« روز.»

رفعت نظري إلى صورة العمة روز، ونظرت في وجهها القاسي، والمجعّد، والبغيض بعض الشيء، وفكّرت في أرواح جميع النساء اللواتي لا نعرفهنّ البتة، واللواتي نظنّ أنّهن مختلفات عمّا هنّ عليه في حقيقة الأمر، واللواتي لا نخترق أبداً حيلتهنّ الموروثة والبسيطة، والمداجاة الهادئة. فيعود بيت الفريد دو فينيي إلى ذاكرتي:

هو دائما ذلك الرفيق الذي ليس قلبه مضموناً.

هل مثل دمعي أيُّ نيل؟

عبد الكريم يحيى عبد الكريم

إلى محمّد فهمي طليمات.. قمر الوفاء

ستّونَ ليلاً في العراءْ
هل مثل دمعكَ يا محمّدُ أيُّ نِيلْ؟
ستّون حزناً ـ آنَ أنْ يترجّلَ العيّوقُ عن سُرُجِ الهواءْ
هذه ثُرَيّاهُ انطفتْ من حزنها
شهرانِ في غسق العويلْ
جفَّ التّرابُ ولم يجفَّ الدّمُ يا وجعَ القتيلْ
هل مثل دمعكَ يا محمّدُ مِنْ رحيلْ؟!

***

صعدَ البشيرُ أبو البشيرْ
في ضفّةِ العاصي الضّريرْ
فبكتْ عليه الأمنياتْ
ناحتْ عليه الأغنياتْ
ونَعَتْ يديهِ نوافذُ الفرحِ الأخيرْ
تاقت إلى عينيه أبوابُ العبيرْ.

***

هل مثل حزنكَ أيُّ حزنْ؟
هذا بشيركَ كم يحنُّ إلى يديكَ.. إلى نَداهْ
يعقوبُ آمالٍ بنيتَ ـ بكى ضحاهْ
وبكتْكَ مئذنة الفضائلْ
بكتِ النّوافذُ ماسَها

بكتِ الرّؤى أعراسَها
هل مثلُ حزني أيّ حزنْ؟!

***

يا صاحب القلب الكبيرْ
يا صاحبي.. برحيلكَ القاسي.. الطّقوسُ تغيّرتْ:
فاليومَ لو ناحَ اليمامُ ـ
يقولُ: ماتَ أبو البشيرْ
واليومَ لو ذابَ الغمامُ ـ
يقول: ماتَ أبو البشيرْ
هل مثل هذه اللوعة الشّمّاء أيّةُ لوعةٍ
يا فضّةَ الينبوع... يا فرح الغديرْ؟!

***

حزني كحزن أبيكَ يغمرهُ الأسى
كم وَدَّ لو كان الأخيرَ.. يريدُ أن لا يفجعَكْ
برحيلهِ، ويقول: خذْ قلبي معكْ
مأساتُهُ العظمى تجلّتْ حين شاهدَ مطلعَكْ
يا مصرع الوردِ الخضيلِ
ومصرعَ الحبِّ النبيلِ
ومصرعَكْ!

***

شهران في الغسق الطويلْ
وهلالُنا الغالي بمنزلهِ عليلْ
جفَّ الكلامُ ولم يجفَّ الدّمُ يا وجع القتيلْ
هل مثل دمعي يا محمّدُ
يا صديقي أيُّ نِيلْ؟!

النازفون

أيوب الحجلي

بعد أن تعالى صوت الديوك المبكرة في الاستيقاظ، وراحت العصافير تقضّ مضاجع الشمس بإعلانها عن بدء نهار جديد بذاك الصوت الرخيم العابق، استفاقت الشمس دافئة حمراء متلألئة تُرسل أشعتها البرتقالية فوق خدود السهول والهضاب النائمة المُتململة في مهدها على صوت معزف حشرات الليل الساهرة، فهمّت خيوطها تلون وجه الحقل المُستريح على سفح تلة صغيرة بلونها الشعاعي الوضّاء، مُسدلة فوق قطرات الندى صباحاً غزلياً ريفياً مُنعشاً يليق بأميرات القصور البلورية الخرافية.

في هذه اللحيظات راح الفلاحون وجناة الأثمار بين أشجار المشمش الناضجة يشقون طريقهم، وبين تلك الحقول البرونزية حثّوا الخطى، فكانت أقدامهم تهضُ ذرات التراب الندية المُتناثرة في دروب ضيقة بين الشجيرات المُترنحة تحت وطأة أحمالها الغنية الصفراء.

بطواف أم النور والدفء بكبد السماء في رحلتها الأبدية، انهزمت أنسام الصباح الرطبة أمام أشعتها الحرّاقة إلى ما وراء اللانهاية، فراح العطش يزحف فوق الشفاه الجافة المفتوحة ليستنهض عشق المياه العذبة الباردة فيها، وبين هؤلاء العمال كان ثمة طفل صغير بلغ من عمره السادسة على ما يبدو، كان أسمر الوجه، انحفرت على تقاسيمه قسوة تنم عن عزة تتقطر من جنبات روحه الأبية، التي أبت أن تسأل أحد الورى عن مأكل أو مشرب أو مأوى حتى، وإنما غدت تثب في صغر ذاك الجسد الناحل الضعيف حاثة إيّاه على الكد والعمل والكسب، رنا إلى شجرة من بين مئات الأشجار الحقلية التي راحت ترفع هاماتها بعد أن تخاطفت الأيدي السمراء أحمالها الذهبية، نظر إلى شجرة المشمش الطرية الباردة التي راح الندى يقبلها من كل الجهات كتقبيل العاشق المحروم لصدر حبيبته العاري الملتهب تحت نير أنفاسه النارية المشتاقة، وقد هام الطفل بتلك النشوة بعد أن فعل فيه الظمأ ما فعل.

بعينيه الصافيتين نظر، ودنا من تلك الشجرة، أمعن النظر بالثمرة التي راحت تعتصر منه رغبة جامحة في قضمها لتسكب على شفتيه شهداً شفافاً، فقد ضجّت مسامها بالقطر البارد بين حناياها وكأنه قنديد جامد لذيذ.

اقترب منها، وبحركة جاهدة استطاع أن يقفز رغم قصر جسده، ويقطف الثمرة الحلم بالنسبة إلى طفل مثله، احتضنها بكلتا يديه وهي مُستريحة في راحتيه الصغيرتين، ضمّها بشوق الطفل المُرتعش من برد اليتم إلى صدر أمه الدافئ الذي راح يحلم بحنانه، ولكن حلمه عاصٍ عن التحقيق، فيستمر الشوق إلى تلك الضّمة التي ستنهي عذابات اليتم المفزع حوله، مسح الغبار المترامي على وجهها، فلمعت في عينيه وراحت المسافة تتلاشى بين ثغره الصغير العطش والثمرة الباردة، اغتمضت عيناه ولم يبقَ بين فمه وبينها إلّا قيد أنملة، حتى إنه بدأ يشتم رائحتها، وتكسّر الحلم الهانئ بعد صفعة مدوية شرسة استقرت على وجهه الصغير، صفعة أوقعت الثمرة من يده وجعلته فريسة عدم التوازن، فبدأ يترنح بعد أن فوجئ بتلك الصفعة العنيفة التي استفاق منها على صوت صراخ صاحب الأرض، الذي يُحاكي صوت بوم اعتاد أن يجوح على شواهد القبور المفتوحة، ذاك الصوت الذي صمَّ أذنيه عن أي صوت أو حركة إلا صوت الصفعة المدوي الذي راح يتردد في أصقاع صدره الصغير الكبير كاظماً فيه غيضاً جارفاً.

لمعت مقلتاه بدموع بريئة، وغدت شفتاه ترتجفان رغم أنهما مازالتا جافتين، داعبت النسائم وجهه الملتهب تحت رماح نظرات ذاك الدّلهم الخبيث، ومضى يخاطبه بصوته الجهوري البشع الذي يثير في النفس ما يثيره عقرب سام لدغ عناً عاجياً لأميرة، اتكأت تمسح عن جبين خليلها الغافي بين أحضانها الأنثوية الدافئة قائلاً: أيها اللص القذر أتريد أن تسرق الثمر وأنت تتقاضى أجرك هنا؟ هيا اذهب... اذهب وتابع عملك، فأنتم جيف نتنة لا تنفك تبعث برائحة الفساد إلى كل صوب وحدب.

تبللت شفاه الطفل، لكن ليس بما كان يشتهي ويحلم، شهد لذيذ شفاف يذوب في الفم بكل رقة وحنان، وإنما تبللت بطعم مالح وحار، لعق الطفل الطعم بلسانه، فإذا به يلعق نزف فمه من جراء ما تلقى، تراجع إلى الوراء بضع خطوات، وحاول ابتلاع لعابه، ولكن غصة كبيرة حالت ومنعته من ذلك، تراجع كما لو أنه روح فارقت جسدها المثخن بالجراح ممدداً على رمال البحر الدافئة، فتركته تلك الروح ببطء موكب حزين يشيع آخر ملوك الجان، سالت على خدوده الصغيرة قطرات باكية، فأخذت تترك وراءها طريقاً على وجنته بين طبقات الغبار الكثيف، حاول إخفاء وجهه كبراً وحياءً من أن يراه ذاك المجرم الذي تركه غير مبالٍ بعد أن داس الثمرة التي سقطت من الطفل الصغير، وتابع مسيره بين باقي عمال الحقل.

ابتعد الطفل بين الأشجار، وعندما وجد نفسه وحيداً راح يتحسس آثار الطعنة النجلاء في صدر كرامته المُهانة، مسح عبراته الصامتة بأكمامه، وراح يحدّق باللاشيء وهو يتساءل بكل حرقة والغصة تزيد من مأساته، وشفتاه مطبقتان كالتابوت على زهرة البنفسج الشهيدة، والسؤال يزيد من حرقة قلبه المتحشرج في طياته الغائرة، يصرخ بكل دقة بسؤال بسيط ولكنه من دون حل :

هل تستحق تلك الثمرة من بين ملايين الثمار تلك القسوة؟ تلك الكلمات أو حتى تلك الصفعة؟ لأني رمت أن أرتوي من ثمر أعمل على جنيه تاركاً فراش طفولتي الوثير قبل تباشير الصباح، لأعمل لدى صاحب الوجه الحديدي الصلب هذا؟ هل أستحق أن أقتل من أجل ثمرة داسها بقدمه ومضى يستعذب أنين هؤلاء النازفين؟!

نصوص...

سوزي خلوف

هذيان يتحدى قسوة الزمان!

عيناك إلهتان اغريقيتان \ في معبد \ محاطتان بالليل \ مضاءتان بمصابيح السموات \ بألف شمعة \ عيناك تعويذة تطاردني \ بسحرها \ في صحوتي، في نومي، في الحلم \ عيناك وما سر روعتهما \ سرُّ جمالهما، سرُّ فتنتهما؟ \ آفاق ألغاز تطير بي \ إلى أساطير الوهم \ تحملني على بساط الحلم \ تُسافر بي \ فأنتشي بخمرِ المحالِ.

أمضي باللاوعي \ في دربٍ من سرابٍ \ إلى برجِ الشمس \ يوصلني يتوّجني سلطانة زماني...

عيناك شلالا حلم \ يغتسل بهما عند المغيب \ بؤس أحزاني \ خالعاً السوادَ \ ملتحفا طرحة الشمس \ مطرّزةً مطرَّزةً بأبهى الألوان.

عيناك الناعمتان كفرو الأرانب \ الرقيقتان كهمس الصمت \ كالندى \ بكل حُنُوٍّ يلثمُ ثغر البيلسان \ البعيدتان \ كحدود المحال \ المسافرتان كلحن القصيدة \ كلحن القصيدة بوجداني آهٍ، آهٍ \ وكم يجلدني محالهما \ كم يخنقني عناقهما \ عناق عاشقين \ عناق عاشقين من خلف القضبان.

أحبك أحبك يا قصر محال \ مرصع بأبهى الأماني \ أحبك يا أغلى أمنية \ يا عبور السيف بأركاني \ يا نشوة الهذيان؛ ثائراً متمرداً متحدياً \ قسوة الزمان...

رسالة طفلة العشرين

سلامٌ لأبهى نجمةٍ \ سلامٌ لأبهى نجمةٍ \ قُربَ سريري \ كانتْ تجلُسُ كُلّ ليلةٍ \ تحكي لي الحكايات \ تقصُّ لي القصص \ وتتلو على مسامعي الصلواتْ \ سلامٌ إلى مَنْ غفوتُ على همساتها \ وكالشَّمسِ في الصبحِ \ أيقظتني قُبلاتها \ وسلامها.

سلامٌ إليكِ يا شمسي \ يا صبحي المشرق \ يا أجمل أجمل كلماتي \ سلامٌ سلامٌ \ إلى مَنْ مشَّطت شعري الغجري الأشقرْ \ بمشطٍ منْ زهرِ الليمونِ \ من عاجٍ ومرمرْ \ وزينتْ ضفائري \ بالليلك والنرجسِ والمنتورِ الأحمرْ \ سلامٌ إلى من رتبتْ كُتبي ودفاتري \ وألبستني مريوليَ الزهريْ \ وحملتْ لي حقيبتي!

عندما تموت الكلمات

لطالما تمتمتها في صمتي \ لطالما وددت أن أحكيها..\ ماتت كلمات على فمي \ قتلتها بجهلك بقسوتك \ بغرورك \ ورحت بكل أناقة \ بكل رقة ترثيها.

خذلتني خذلتني خذلتني \ تركتني وحيدة \ ككرسي مبتل بالمطر \ في مقهى الحلم المهجور \

كمزهرية الخزف \ ورودها ماتت من الظمأ كيف؟

ذنبي وتهمتي!

كيف لقسوة الخزفان تسقيها ؟ \ أنا بعد رحيلك مرساة غارقة \ أمواج تحطمها \ يأس يقتلها \ أبعد الموت بعد ان قتلتني \ روحي من سيحييها ؟ \ أحبك أجل \ أحبك أجل.

هذا هو سري \ سر جمالي وأناقتي \ سر فرحي وأملي وتعبي ويأسي \ وهذياني \ سر حياتي \ وما حياتي إن لم تكن فيها؟ \ أحبك أجل!.

هذا ذنبي هذي تهمتي \ وكم أنت بارع كم أنت بارع \ في إلقاء التهم، في سحق حلمي، في تدمير قلاع الوهم بلحظة \ من دون أن تميل الطرف \ لترى من فيها.

عيناك اللبوتان الرائعتان \سبحان من أبدعهما \ فجعل فيهما جزرًا \ لطالما غفوت في ظلال النخيل \ وجمعت أصداف الحيرة \ من شواطئها.

آه آه لو تدري \ كم مرة جبت الدنيا \ في ليل عينيك \ في ألوان ذاك المساء الغجري \ كم مرة سافر بي الحلم \ إلى أرض غريبة \ فرحلت معه ناسية تذكرتي \ وهويتي \ ناسية اسمي \ جلّ ما همني أن ألقاك \ أن ألقاك في رحلتي \ أن تكون على متن قطار السراب المسافر \ ليصبح الجحيم جنة \ لتزول غربتي كما تزول الهواجس \ كما تزول المخاوف عندما نرويها \ آه يا لسخرية القدر \ يا لقسوة القدر \ فشواطئ نجاتي باتت مقصلتي.

درب الأمل، درب الحلم \ أضحى دربًا إلى المقبرة \ نظرت في عينيه وأنا على آخر رمق \ ودمعة في عيني \ جفت في مآقيها \ اقتلني اقتلني...

أنا أهديتك قلبي \ أمّا انت فموتا أهديتني \ لا تلام الهدايا فالكل يعطي مما يملك \ وفي الهدايا بعضٌ من سجايا مهديها.

المرار.. حكمة الحجر

مفيد عيسى أحمد

الاستواء الصاعد لحرف الألف ينتهي بذروة قاطعة.

توقف دبيب سبابته، ارتعشت وهي تمر عليه، تهامد الارتعاش في جسده الواهن، يتواتر هذا الإحساس، يخلص إلى مقولة في ذهنه: في الاستواء.. لا معالم.. لا معنى.. موت.

يتلمس الحروف الحجرية كلمسة النهد الأولى أو تويج الأقحوان، تهفو روحه إلى أنامله، مرهفة تدور وفق منحنيات الحروف، انكساراتها واستقامتها... في الاستقامة يجفل.. للخط المستقيم دلالة واحدة مباشرة، تمتد بين بدايته ونهايته... الألف خط مستقيم ناهض قد يبدأ من نهاية حرف آخر، هو بداية من نهاية وبداية بذاته، لكنه فاصل ونهاية أكيدة فلا حرف يبدأ متصلاً به أبداً. يرتعد ويزيح جانباً اللوح الحجري، الكلمات كتابة أينما كانت، على الورق على حجر.. والكتابة معنى، منذ سنوات عرف أن المعنى قد يكون مواربا، المعاني تأويل كما الحياة.. اكتشف ذلك بعد أن فقد بصره، ذهبت به جملة كتبت نقشاً على حجر.

لم تكن الكلمة فاتحة علاقته بالحجر، بدأت تلك الحالة الغريبة من تأمله لأشكال بعض الحجارة، تكوينها وألوانها، الحجر خلاصة معنى تجمد وفقد حيوته، هذا ما تؤكده المستحاثات، كانت فاتحة ذلك تلك الحجارة المكونة من تصلب مجموعة من القواقع التي انتبه إليها منذ الصغر في أرضهم... هل البحر كان هنا..؟ تساءل بدهشة بعد أن وجد كتلاً حجرية من القواقع التي لا تعيش سوى في البحر وشكلاً مفلطحًا لسمكة بشعة.

ليس شكل الأحجار ما جذبه فقط، للأحجار أصواتها أيضاً، تصدرها فقط حين الاحتكاك والارتطام بالأشياء الأخرى، منها ما يكون صوته كالفحيح.. ومنها ما يكون كتوماً لا يبوح بصوته إلا في الشدة، وقد تجد حجارة تطن وترطن.. أحجارًا أخرى ترن كأنها مشغولة من ذهب.

وقد حظي بحجر لها هذه الخاصية، عندما كان يصعد أحد السفوح وسقطت قدومه من حزامه على حجر مغروسة في الأرض، رن كأنه مصاغ من ذهب، التقط القدوم وأعاد رميه على الحجر، ثم تناول حجراً صغيراً وضربه به، كان رنينه غريباً وشذياً، كيف لحجر أن يكون لها رنين الذهب، حفر حوله وانتزعه من الأرض وقلبه بحذر، ثم تحايل عليه وحمله على كتفه، لم ينزله إلا في حوش بيته، كانت أول حجر من مجموعة أحجار سيجمعها عامًا إثر عام.

كل حجر من تلك الأحجار ترمز لمحطة من حياته أو توازي مفصلاً ما، كل منها مرتبط بمكان وزمان، بحدث وأشخاص، حجر أتى به وهو يؤوب من الصيد قبل أن ينزل ليعمل في بيروت بيومين، أخرى حملها على كتفه من وادي العيدون مصقولة ملدة كبطن أنثى، بعد تسريحه من الجيش، وتحمل عناء حجر ثالثة لأنها كانت كسلحفاة تطاولت برأسها من قوقعتها، تعثر بها عندما هام على وجهه حزناً على موت رفيقه دثار.

تنوعت الأحجار بتتالي السنين والأمكنة، حجر مثقوب من سهل عكار وجرن طبيعي من وادي قيس، صفائح حجرية بيضاء كالورق حملها برفق وحذر من سيّار النعاصات، وعنقود حجري متصلب غريب عثر عليه في سفح زيدان. حجر شاحبة من سهل سمريان.. وأخرى بللورية كالزجاج وجدها وهو يعمل في أم الطيور على شاطئ البحر، الأجمل حجر وردية حصل عليها من القلمون. وقطع من الصوان، حجر النار، حاد الحواف التقطه من وادي تربل، وزهرة حجرية بلون يحاكي غسقاً طرياً قطفها من الصخور المجاورة لمقامات بني هاشم، وحملها ليهديها إلى سعاد التي صهرت روحه لتعيد تشكيلها على هيئة طائر حزين.

يحتضن اللوح مرة أخرى، وتسعى سبابته متلهفة تتحسس الأحـرف.. وكأنه لم يفعل ذلك من قبل، تعاوده تلك الأحاسيس.. كلمسة النهد الأولى أو تويج الأقحوان.. كيف لحجر أن تكون له هذه الرقة.. تصل سبابته إلى حرف الألف وتصعد في استواء... ويسري تيار من الحيرة والتوجس معاكساً مسرى الدم... في الـذروة هاوية.. نهاية وربما بـدايـة... لكن لا بد من الهبوط. فالألف لا ينحني.

حجر كلسية هشة صفراء اللون دفعته للمرة الأولى للتعامل معها وإعـادة تشكيلها, كانت تشبه أرنباً صغيراً لولا بعض الزيادات, أخذ سكيناً كبيرة وحتّها, شذبها حتى أخذت شكل أرنب مطموس المعالم, هذه كانت البداية التي أعطته طابعاً جديداً لعلاقته بالحجر, وجعلته يستكمل أدواتـه, اشترى أزاميل ومساحج مع مطرقة صغيرة وأوراقـاً للصقل وشرع ينحت, يغير أشكال بعض الأحجار ويصنع من بعضها أدوات كمجامر البخور وغلايين مزخرفة ومزهريات جميلة مرشومة بزهور متخيلة لم تنبت يوماً, صحفا وأجرانًا صغيرة وكبيرة.

البعد الآخر لعلاقته بالحجر تأتى عندما حصل على لوح حجري من بيت قديم هدم بصاعقة, من بطن الجدار المزدوج استخرجوا اللوح وخاتماً نحاسياً متآكلاً، لكن ما زالت حروفه واضحة, خاتم لمختار قرية درست، وبقي اسمها يخرج من حين لآخر من ركام حجارة أخذت لون القتام.

بهره اللوح الحجري, لم تكن الكتابة مقروءة بشكل جيد، فقد انحشر بين الحروف تراب وحصى, نظّفه فوضحت كلمات نقشت بخط فارسي لم يأخذ أبعـاده لكنـه جميل, كلمات قليلـة شكلت جملة بمعنى ملتبس « المرار براء الروح وبلسم الجسد « قرأ الجملة مرات ومرات لا تحصى فيما بعد ولم يتجاوز المعنى المجرد للجملة, لكن ما هو المرار..؟ هناك الكثير من الأشياء المرة, ربما هو خلاصتها.

ثقب اللوح الحجري من طرفيه بعناية وحذر, تحسس الحروف الحجرية, كانت أول مرة يفعل ذلك, تعشق بأصابعه إحساس غريب، وكأن الحروف حفرت هنا على رأس سبابته، فهو الذي يتقن الخط لأول مرة يدركها باللمس, قبض يده وبسطها مرات ومـرات, يجب أن أحفر مثل هذه الحروف، أستطيع فعل ذلك.

علق اللوح في صدر غرفته, أشكل عليه المعنى, لكن الحروف المنقوشة لم تتركه, كانت ترنو غامزةً إليه وتكاد تهمس, هذا ما كان يحسه لم لا أنقش مثلها.. في رأسي الكثير من الجمل المفعمة بالمعاني...؟ سأل نفسه وهو يتأملها..

لكن يده لم تطاوع خياله كانت تتلكأ بالنقش في البداية, مما جعله يتلف ألواحاً جميلة لخطئه في الحروف أو لخروج الخط بشكل مشوش غير متسق, شيئاً فشيئاً بدأ يعتاد الأمر, حفظ الزاوية التي يجب أن تداني يده بها لوح الحجر, درجات الشدة في الضرب على رأس الأزميل, كيفية مسك المسحج ومـداراة التفاف الأحرف وانثناءاتها, وطريقة صقل الألواح في النهاية.

علاقته بالحجر, دخلت في دلالات الحرف واحتمالاته, أصبحت الكلمات رابطاً والمعاني مجالاً ينفرج من الحجر. من تحت يده خرجت لوحات حجرية للبيوت والدكاكين, ألواح الأضرحة وألوح أخرى نقش عليها بروحه, وهي التي كان يتحسسها بلهفة من يلمس قرارته. بتلك الرعونة الوجلة, كلمسة النهد الأولى, والرفق الذي يكبت حرقة التدفق, كتويج الأقحوان.

خط النسخ هو الأجمل والأوضح ويتيح له التحكم بالمساحة والتناسق أكثر, وهو ما نقش به ألواحه كلها ما عدا لوحًا واحدًا اختاره من حجر الصفي الكلسي الذي أتى به من بصلوح, صقل اللوح إلى أن صار كالكاغد وركنه في زاوية غرفته.

لحظة البدء, تهيب, خرق وتجاوز, رعشة كتلك التي تصيبه من القفز في ماء بارد, وزفرة كتلك التي تحدث إثر التخلص من تعب ممض, لحظة يجرح وجه اللوح بمسحجه, تنبثق بين كتفيه قشعريرة تنفذ كالأشعة في كل جسده.

أمسك بالمسحج الناعم وهـمّ بالبدء لكن مـاذا سيكتب...؟ ثمة الكثير مما استخلصه من الدنيا, في رأسه مقولات كثيرة, وضع اللوح وصفن, تناوبت في رأسه مقولات ومقولات....

مر وقت وهو يفكر, ثم أعرض عن النقش, رفعه إلى رف علوي, لن ينقش شيئاً عادياً.

عاد إلى نقش ألواح البيوت والمتاجر, المجامر وشواهد القبور, المزهريات والأجران, من وقت لآخر كان يخطر له ما يستحق كتابته على اللوح, لكنه لم يبادر إلى ذلك, بل ظل يتأمل اللوح مضطجعاً على الرف العلوي وكأنه وضعه منذ دقائق فقط, زاويته الناتئة عن الرف كانت تشير إليه أنى ذهب، وتشعره أن ثمة عملاً مؤجلاً يجب أن ينجزه, شعور ألح عليه كثيراً في الأشهر الأخيرة, تداخل مع إحساس مبهم بنهاية كحائط يغلق طريقاً وحيداً, أغمض عينيه وبدأ يتحسس صدره وكأنه ينزع عنه ما يثقله, لكل أمر وقته الذي لا يحيد عنه همس صوت غامض ومشوش في داخله, نهض وأنزل اللوح, تأمله ساعات ولم يصل إلى قول ينقشه على وجهه.

سنوات على عشرة الحجر، ناله منها نثارها وغبرتها, وصارت تمض عينيه حرقة وحكة وكأن تحت جفنيه حصى ساخنة, يداه فقدتا شيئاً من توازنهما, هذا ما يقلقه, ألم عينيه مع كل يوم كان يتركز ويزداد, نظره أصبح مشوباً بغبش وخطوط تتلوى في الفراغ, بين هوس هذه الخطوط كان يتحرى عن كلمات معدودة.. كلمات فقط.. ما الذي يدفعه لنقش حكمة على حجر... هل هي الحكمة التي وجدها منقوشة على الحجر القديم..؟ قام مد يده وتحسس حروف اللوح القديم, الخط الفارسي الرخيم الذي خرشمه الزمن.

ما زال اللوح الجديد ممسوح الوجه لا ملامح ولا معنى, لـون أصفر كامد كتوم, تناوله ووضعه في حضنه تحسس وجهه، وأمسك مسحجاً صغيراً, ركز طرفه الحاد وحز ببطء وتركيز, فنشز عنه صوت اقشعر له بدنه.

دفعةً واحـدة وعلى مدى ثلاثة أيـام، أنهى جملته نقشاً لم يفكر فيها كثيراً, خطها هذه المرة بالخط الفارسي, صقل الأحرف وتفحصها بسبابته, لحظة أن مس بداية الحرف الأول كلمسة النهد الأول, لحظة مس حلمة الغواية.. ومن ثم انسابت يده على الأحرف يتحسسها كتويج الأقحوان.

« الظفر خداع الدنيا والغياب يقينها « العبارة واضحة والخط استوفى أبعاده, الرهافة في بعض الحروف والرخامة في أخـرى, الانحناءات الراجحة المثقلة بالمعنى, لتتوازن بنهايات كأعناق مبتورة الرؤوس, أوكذيول رشيقة.

ألم عينيه يزداد والغبش يتكاثف, الخطوط الملتوية تتقارب وتتحد, نظر إلى اللوح القديم المعلق، وقرأ ما كتب عليه بمشقة (المرار براء الروح وبلسم الجسد) العين من الجسد وهو لها شفاء فكر ولمس عينيه بحذر, وكأنما ثمة حد يستبطن جفنيه ينكأ عينيه في الفتح والإطباق.

لم يعد الألم يطاق, المرار... هل هناك ما هو أمرّ من الحنظل, ما الذي ذكّره بالحنظل, ربما غرابة شكله وثمرته, قد يكون فيه شفاء.

بيد مرتبكة قطّر مغلي الحنظل البارد في عينيه, خمس مرات في اليوم ولعدة أيام, الحرقة تحولت إلى نار، لكنه صبر عسى أن يعقبها الشفاء, فالنار تطهر, ومن ثم انطفأ كل شيء واحتجبتا بغلالة من نمش سود, جفتا, نضح الحنظل ماءهما وغارتا كنبع تشقق قاعه, لم يبق سوى رماد أصهب,

انتظر أياماً عسى أن تنار عينيه من جديد بعد أن يتناقص أثر الحنظل, لكن كل ما حدث أن خف ألمهما, وانتفى ذلك الأثر الأصهب واتصلت الظلال. لم يفده الطب... فات الأوان, قال الطبيب الشاب.

احتجاب عينيه فجر في نفسه ذلك الحنق المستطير من الخيبة والألـم، من ذلك السؤال الأبـدي والعبثي لم جرى ما جرى...نهض وبدأ يتحرك.. ويلج, اصطدم بالأشياء والـجـدران, بقي لأيـام على تلك الحالة, استيقظت في داخله برية مفاجئة, توق للرؤية من جديد والانـفـلات, برية مستحيلة تشبه برية ذئب محبوس, لم يتجرأ أحد على سؤاله أولومه... رغم أن زوجته حذرته قائلةً: الحنظل خطير أذكر ما فعله بأبي فقد تنشقه فقط وبدأ يستفرغ حتى كادت أمعاؤه تخرج من حلقه...

من وقت لآخر تدهمه شحنة من الغضب والندم، تتلاشى وما يلبث أن يشعر بفراغ غريب، بنزوح عن ذاته وكأن ما جرى، جرى لشخص آخر، يهدأ بعدها ويستكين, تناقصت نوبات الغضب وبـدأ يهمد، تباطأت حياته كمن يخوض في مد من الرمل.

جلس أياماً وكأنه ليس موجودا، في فـورة غضب انتفض واقفاً تلمس الجدار الـذي علق عليه اللوح القديم, نزع اللوح وحطمه بحنق وخرج، رشح إلى عينيه شبح نور، جلس في الخارج، أتته زوجته بكأس شاي.. وكأن الحياة عادية وكأن شيئاً لم يكن..قال في نفسه وهو يحتسي الشاي... باستسلام.

_ اجلبي اللوح الذي نقشته مؤخراً.. قال لزوجته بأسى.

- ما لك.. به..أرح نفسك..

- اجلبيه.. قال بهدوء وحزم.

قامت وناولته اللوح بهدوء وحـذر، تحسسه وكأنه يستكشف ما نقش عليه، مرر يده على محيطه, ثم زحفت يـده إلـى وجهه, تحسس الحروف الحجرية كلمسة النهد الأولى.. تراقصت شيفرة مستكينة في جسده وحنايا روحـه.. تويج الأقحوان, ملمس أهيف كزغب النور... النهد.. تويج الاقحوان.

يجلس واللوح جانبه، من وقت لآخر يتناوله ويتحسس الحروف النافرة, كلمسة النهد الأولى..وانثناءات كتويج الأقحوان، تشحن سبابته بزخم حياة مضت، لا تلبث أن تجفل في استواء الألـف الأخيرة, الألف الصاعدة من الهاء... في الاستواء الصاعد نهاية قاطعة متوعدة... تقفز سبابته عنها بهلع..عيناه الغائرتان... تنزفان دمعتين..

شاعرتان من البلقان

ترجمة : عبد اللطيف الأرناؤوط

اندريانا شكونكا
Andriana Skunca

ولدت الشاعرة الكرواتية (اندريانا شكونكا) في مدينة نوفالجا بمنطقة كرواتيا اليوغوسلافية.. وبعدما أنهت دراستها الابتدائية والثانوية، انتقلت إلى جامعة (زغرب) فنالت إجازة الآداب.

ومن أهم أعمالها الشعرية ديوان (بياض حتى السماء) الذي صدر في عام 1970م.

عبّرت الشاعرة تعبيراً صادقاً عن المشاعر التي تنعكس على صفحة نفسها، بعدما تأثرت بجمال الطبيعة وسحرها خلال عبورها الدروب.. والحشرات تنسج الحزن على مغزل حجري تندب موت سمكة..

ومن قصائدها المختارة:

1 – ريح الجنوب:

تحمل الريح
الصخب
والكروم المقطوفة
في ليلة خريف

***

سيهطل المطر قريباً
ويتكاثف البرد رصاصاً
وتقطر الأفكار القاتمة
من حجر إلى آخر
وينسج الصيف خيوط العنكبوت
حول أقدام البيوت البيضاء

***

سيهطل المطر قريباً
وتهمس الأوراق الجافة
في أذن الطرق الخالية

***

جاء عابر سبيل
قبل منتصف الليل...
لن تموت قطرات المطر..
ولن تهدأ ثورة الريح..
غيرة..!!!

***

2 – ليل البحر

ليل البحر الضبابي
في قلب الخوف الكثيف
تدانت المراكب
وانتظر الخريفُ العرقَ
على القدور اللاهبة
على بقايا الدروب
التي تتدلى من فوقها
ثمار الرمان

***

ما أسرع رحيل السنين..!!!
والصرصور ينسج الحزن
على مغزل حجري
يندب موت السمكة

***

3 – تشرين في نوفالا

خلف أشجار الليمون
يحلُّ الليل المعتم
وفي قلب سلال تشرين العتيقة
تتفسخ أواخر العناقيد

***

يالدقات الساعة الحزينة..!!

في قفصها فوق الجدار
وتنمو الأرقام الصفر
على السماء الشاحبة

***

أسمع الحجارة تغمغم
تحت أقدام الأغنام التي تسير الهوينى
وتثغو أشجار التين الخشنة...
في قلب الريح
فأود لو تمّحي الذكريات

***

وأغمض عيني مستعيناً بمزق الطريق
وسيمر بعدي
الذي وجد الخلاص في الأحلام

***

ديزنكا مكسيموفتش
Désanka maksimovitch

«ديزنكا مكسيموفتش» شاعرة صربية من الشاعرات التقليديات برزت بعد الحرب العالمية الأولى، ويمتاز شعر «ديزنكا» برقة الأنوثة والسهولة والغنائية الناعمة التي تؤثر في القلب.. لنقائها وصدقها.

1 – في العاصفة

ينتصب طيف طوال الليل
على الرابية القفراء
دعيني يا أمُ أعرفُ..
أرجل هذا أم صنوبرة
الذي يرقب طوال السهرة
كوخنا الأبيض الصغير...

***

دعيني يا أمُ أعرفُ
فالسير لا يجهدني
وما أقرب الرابية من كوخنا
آه، ما أشد قربه
رجلاً كان أو صنوبرة
ذاك الذي يجابه العاصفة
طوال السهرة
منتصباً يرقب كوخنا

***

تأملي الغيمة السوداء
كسفينة جبارة حزينة
تسبح فوقه
حاملة معها المنية
يا أم
علّه يجد عندنا ملجأ
رجلاً كان أو صنوبرة
ذاك الذي يقف الليل كله
يرقب كوخنا الأبيض الصغير
وحده على الرابية المقفرة
كطفل يطوي ذراعيه
من الألم يوم ولادته
فلتكن أناملي الرخيصة
ضحية لهذه الريح
دعيني أقدمها يا أم
فإن هذه الغيمة اللعينة
ماتزال تحوم فوقه

***

2 – ذكرى العصيان:

بلاد الصرب لغز كبير
لا يعرف فيها النهار مايحركه الليل
ولا يعلم الليل ما يسفر عنه الشفق
ولا تعلم الأعشاب ما يبيّت جارها
هذا العصفور المتسلل عبر الأوراق

***

لا يعلم الضّب ما يزحف تحت الحجارة
لا تعرف عيدان الذرة
ما تمّ في السهل القريب
في كل لحظة تتبدل هذه الأشياء
ومامن زاوية أو ورقة
إلاَّ ولها سرّها

***

مَنْ يعرف..؟؟
ما يكمن في الأعماق
في قلب تلك القطرة النقية من الطل
في صميم أصوات الفلاحين المنهكة..
التي تتردد عبر التلال

***

من يعلم.. ما تخفي الفتاة
في بلدنا هذا
بين جانحيها
وأي سر يحمله الطفل الغرير
بين ذراعيه الممدودتين
ولأية غاية
تدبّ العجائز حانيات..

***

للريح سرها
في بلدي..
العطر والجداول والأنهار
وأجراس الكنائس
تحمل رسائل سرية
فمن يعلم ما يمكن أن يحل بها
عند أول منعطف
على حدود الغابة

***

ألا، ليرتب العدو من كل شيء
في بلدي هذا..
حتى من أثر أرنب على الأرض
من بصمة حافر ثور
فقد تكشف أغاني الحصادين
أو ضربات فأس في غابة
عن أحاديث سرية..

قراءة في الأزمة الوطنية في مطلع عامها الثالث /تتمة/

النظام وإسقاطه غير عابئة بعقابيل هذا الفعل على الدولة السورية. وكما يبدو أن حقد تلك القوى على النظام قد تلاقى مع رغبة القوى الغربية في تدمير قوة سوريا وضرب دورها الإقليمي المناهض لمخططاتهم في المنطقة. وغدا واضحاً أن هذه القوى لا تريد الديمقراطية، فحيث سيطرت على الأرض، أقامت ما يشبه إمارات إسلامية، وسحبت وثيقة العهد الوطني التي أقرتها القوى المعارضة في القاهرة من التداول، وتمارس القوى التي "تحرر" الأرض حكماً تعسفياً يتسم بالفوضى. وبدأت المقاومة الشعبية ضد تلك الممارسة في بعض المناطق التي تحكمها. والإشارة إلى تحطيم تلك القوى لتمثالي المعري في المعرة والبتاني (بطليموس العرب) في الرقة واجبة في معرض الحديث عن طبيعة تلك القوى غير الديمقراطية.

كان واضحاً منذ الأيام الأولى أن ثمة حملة منسقة إعلامية غربية ـ عربية ضد النظام السوري بلغت أوجها بتوقيف البث الفضائي السوري على نايلسات العربي والهتبيرد الأوروبي.

قيام البلدان الغربية والعربية بفرض عقوبات اقتصادية ومالية قاسية على الدولة السورية. ألحقت أذى كبيراً بالشعب السوري. وهي عقوبات غير قانونية وغير أخلاقية، وهي بمثابة شن حرب على سوريا.

انحياز الحكومات الغربية وبعض الدول العربية بقوة إلى جانب بعض أطراف المعارضة في الخارج، الأمر الذي أدى إلى انقسام المعارضة، من ناحية، وانحسار مطالبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية واقتصارها على إسقاط النظام، الذي استحال لاحقاً إلى إسقاط الرئيس.

خروج الجامعة العربية على ميثاقها وسيطرة مجموعة دول الخليج على قراراتها بالتنسيق مع الدول الغربية لاحتواء الشارع العربي.

يبدو أن أزمتنا الوطنية لن تجد حلولاً سريعة لأسباب داخلية وخارجية أيضاً. فعلى صعيد الداخل: انتشر السلاح على نطاق واسع وانتشر العنف وهذا يخلف دماراً وقتلاً وإصابات دائمة تكلف الوطن غالياً. وعلى صعيد الوطن خرجت أجزاء واسعة من بلدنا عن سيطرة الحكومة المركزية. وعلى صعيد الوطن:

لا يزال الفساد، بكل أشكاله، ظاهرة بشعة في إداراتنا.

لا تزال الأجهزة الأمنية تنتهك القوانين والأنظمة النافذة.

وخلال السنتين المنصرمتين تفاقمت معاناة المواطنين المعيشية بسبب التخريب والتدمير الممنهج الذي تعرضت له موارد البلد وصناعاته وشبكات نقل الطاقة وطرق المواصلات. وقد كشفت هذه المعاناة عن وعي وطني عميق لدى الأوساط الشعبية كلها، وكشفت أيضاً عن أن ثمة فئة ضئيلة من تجار الأزمات تغتنم مثل هذه الفرص لبناء الثروات.

لكن المعاناة الأكبر هي تلك التي يعاني منها المهجرون من بيوتهم التي دمرتها الحرب، أو هجرها أصحابها بفعل الترويع الإرهابي. وقد ذهب هؤلاء إلى مناطق شتى من الأحياء المجاورة إلى المناطق الآمنة المجاورة إلى مدن بعيدة آمنة وإلى خارج الوطن. ويقدر هؤلاء الذين اضطروا إلى ترك بيوتهم (نازحين ولاجئين) بالملايين، وهم مشكلة وطنية تتفاقم ولا بد من حملة وطنية مستمرة للتخفيف عن إخوتنا النازحين واللاجئين.

هل يمكن للحكومة أن تقدم حلولاً واقعية للخروج من الأزمة الوطنية الشاملة؟

إن طبيعة الأزمة السورية وارتباط بعض أطراف المعارضة بدول أخرى عربية وغير عربية يجعل الوصول إلى حل داخلي صعباً إن لم يكن مستحيلاً. لذلك سيكون للأطراف الخارجية دور ملموس في رعاية أية تسوية عندما تنضج الظروف.

لقد وافقت الحكومة على خطة عربية وخطة أخرى دولية عربية. وقد فشلت الخطة العربية بسبب دور الجامعة السلبي في أزمتنا الوطنية، وانحيازها إلى جانب الشعب ضد الحكومة، كما زعمت. وكان يمكن لها أن تخدم الشعب والدولة لو اتخذت موقفاً متوازناً، وعالجت المشكلة بطريقة إيجابية، تجعل الأطراف المتصارعة تشعر بأنها وسيط نزيه. لكن، للأسف، لم تستطع جامعة الدول العربية أن تقوم بهذا الدور المأمول بسبب سيطرة المال الخليجي على الجامعة والأزمات التي تعصف بالدول العربية ذات الثقل مصر والعراق والجزائر والسودان واليمن وغيرها. وربما بسبب تبعية الأنظمة العربية لأمريكا والدول الغربية، التي ترغب بإعادة ترتيب أوضاع المنطقة وفق منظور الشرق الأوسط الجديد الذي تخرج فيه الدول العربية من دائرة الفعل، ربما لتدور في فلك إسرائيل وتركيا وإيران.

الوضع الراهن

الوطن بعد سنتين يعاني كثيراً. إنه يشهد حرباً شرسة، تشنها جماعات إرهابية من كل أصقاع العالم، تحصد حياة مواطنينا وتدفع الكثير منهم إلى النزوح واللجوء، حرباً دمرت مدننا الصناعية وقطعت أوصال مدننا، وقطعت بعض المناطق عن سلطة الدولة.

الوطن يعاني من حصار اقتصادي ومالي وإعلامي عربي وغربي، يؤثر سلباً على الوضع المعيشي للشعب، لاسيما على العاملين في الدولة حيث تراجعت قيمة الراتب الشرائية إلى نحو الربع الذي كانت عليه قبل الأزمة.

ثمة بيان جنيف والأخضر الإبراهيمي، وثمة مبادرة رئيس الجمهورية بشار الأسد، التي يمكن النظر إليها على أنها ترجمة وطنية لخطة جنيف، لم تستجب لها أطراف المعارضة الداخلية والخارجية.

الجماعات المسلحة التي تقاتل على الأرض مختلفة: بعضها ينتمي إلى القاعدة، وبعضها إلى جماعات إسلامية، وبعضها إلى الجيش الحر،

أخفقت فصائل المعارضة في توحيد صفوفها، سواء في الداخل أو الخارج، أو الجماعات في الداخل والخارج على برنامج مطالب تتبناه وتدافع عنه بشكل موحد. ووثيقة العهد الوطني يبدو أنها سُحِبت من التداول.

شكلت المعارضة الخارجية الائتلاف الوطني السوري الذي أخذ مقعد سوريا في الجامعة العربية وفي مؤتمر القمة العربية الأخير في الدوحة.

تواصل الجامعة العربية موقفها السلبي من الصراع الجاري في بلد عضو ومؤسس بانحيازها وتمويل بعض دولها للجماعات الإرهابية التي تهدد أمن الوطن والمواطنين.

لا يزال مجلس الأمن منقسماً حول أزمتنا الوطنية، الأمر الذي يعطل الوصول إلى تسوية واقعية تضع حداً للتدخل الخارجي في شأننا الداخلي.

حدودنا الدولية مفتوحة لتسلل العصابات الإرهابية وتهريب الأسلحة.

هل ثمة حلول لأزمتنا الوطنية في الأفق المنظور؟

ما دام للأزمة أسبابها الداخلية والخارجية، فلا بد من تضافر عوامل داخلية وخارجية من أجل الوصول إلى حل واقعي يقوم على تسوية وفقاً لبيان جنيف، فهو أساس عملي، استطاعت الجامعة العربية أن تعطله حتى الآن. وقد وافقت الحكومة السورية على تسوية وفقاً لهذا البيان، وبقي على المعارضة أن توحد صفوفها وتشكل وفداً للتفاوض مع الوفد الحكومي برعاية دولية بعدما استقالت الجامعة العربية من الاضطلاع بواجبها، بل عملت على زيادة تعقيد الأزمة من خلال تسليح الجماعات المسلحة وتقديم المساعدة اللوجستية للمجاهدين من دول مختلفة للقتال في بلدنا.

إن تطور الأحداث خلال السنتين المنصرمتين يؤكد أن الممكن هو تسوية واقعية استطاع العقلاء في العالم أن يحددوا أركانها في بيان جنيف، ولهذا نرى أن القوى المتطرفة تسعى جاهدة لتعطيل الخطة الأممية المنبثقة عن هذا البيان الحكيم.

حوار مع الكاتب والمترجم المصري المعروف فؤاد كامل /تتمة/

إنساناً بعينه.. كما نجد ذلك في أعمال تولستوي ودستويفسكي.. إنها أعمال تنشغل بالإنسان على الرغم من خصوصياتها الروسية.

لاحظت من خلال قراءتي لعدد من كتبك المؤلفة والمترجمة بأنك تولي الموسيقى اهتماماً خاصاً، وقد ترجمت كتاباً بعنوان : (جماليات الإبداع في الموسيقى).. ألا ترى بأن الفن الموسيقي تربية ذوقية.. ورقي بالإحساس أولاً؟

- تشكل الموسيقى انشغالاً هاماً في تركيبي، وقد بدأ هذا بشيء من الاهتمام منذ صغري، وقد تطور إلى حب، وفي البداية كان اهتمامي ينصرف نحو الموسيقى الكلاسيكية، ويرجع الفضل في ذلك إلى د. لويس عوض الذي شكل لنا جمعية (الجرامافون) عام 1945 وقد كانت تضم مجموعة من الزملاء مثل: الأستاذ محمود أمين العالم ود. فؤاد زكريا ود. مصطفى سويف.. وكنا نستمع إلى الأعمال الكبرى في الموسيقى العالمية، بعد أن يقدم لنا د. لويس عوض بثقافته الرفيعة، تفاصيل معرفية.. وكنت مواظباً على حضور الجلسات. وكنت شغوفاً بالموسيقى الكلاسيكية.. حتى فكرت أن أكون موسيقياً، لكن الظروف لم تسعفني، فتركز اهتمامي بالفلسفة، ولكن الموسيقى كانت ضرورية، وكنوع من التعويض اهتممت بقراءة عالم جمال الموسيقى وتاريخ الموسيقى بوجه عام، وألفت كتاباً عقدت فيه مقارنة بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية – وقد اهتم بي أساتذتي في ذلك الحين – وعملوا على توجيهي نحو دراسات أعمق.. وكان مما قرأت كتاب (جماليات الإبداع الموسيقى) الذي ترجمته فيما بعد.. إن الموسيقى تشكل عنصراً أساسياً وجوهرياً في تكوين شخصيتي وكذلك عائلتي..

الموسيقى وجدان..

- نعم هي وجدان ورغبة وشعور، لكنها تحتاج إلى ثقافة، ومما يزيد إحساسك ويعمق وجدانك وتذوقك للموسيقى الغربية هو أن تلم بتاريخها وتطورها, وأن تقرأ شيئاً عن الآلات الموسيقية وكبار الشخصيات الموسيقية في عالمنا.. لكي تستطيع أن تتذوقها بدقة..

وكيف تخرج فن الموسيقى عن الطرب؟

- إن الموسيقى مؤسسة على بناء وأفكار موسيقية، كما أنها تحتوي على رؤية كرؤية الفنان والأديب.. وكل الاختلاف هو طريقة التعبير..

وهل يحتمل فن الموسيقى التعبير عن فلسفة معينة؟

- نعم وذلك من خلال تطويع الألحان، بحيث تدفعك إلى الخروج عن نفسك، وإلى التصاعد المستمر لبلوغ أهداف أسمى؛ ومن الموسيقيين الذين توجهوا هذا التوجه – سكريابين الروسي الذي يعد متصوفاً في الموسيقى/ وكذلك سيزار فرنك الفرنسي وبرامز.. إنهم يعبرون عبر الموسيقى عن رؤية كونية، وفلسفية معقدة..

بيد أنها رؤية وجدانية مشحونة بالعواطف الجياشة..

- لكنك تحس وأنت تسمعها أنها تعبر عن نظرة شاملة للحياة كالسينفونية الكورالية (التاسعة) لبتهوفن، ولقد أضاف لنا نشيد الفرح للشاعر شيللر، لكي يعبر فيها عن نظرة نحو الإخاء بين البشر، وتوحد الإنسان للكون والطبيعة والإنسانية جمعاء.

ترجمت قصص (الكنز) لباوستوفسكي، وهي خالية من الرؤية الفلسفية؟

- نعم.. فلقد أعجبني في قصص باوستوفسكي تمجيده للعمل وحبه للطبيعة وشاعريته في التعبير.

كيف تختار الكتب التي تعنى بترجمتها.. هل تشترط فيها الرؤية الفلسفية؟

- دائماً أبحث عن امتزاج الفلسفة بالفن والأدب.. وهي التي تلفت نظري وتدعوني لترجمتها.. وهو ما يلائم طبيعتي.. ولا أترجم إلا مايعبر عن نفسي أولاً.. يجب أن أحب ما أترجمه.. وأتعاطف معه، وأفكر بأنها أعمال ستمتع الآخرين لكي يعيشوا التجربة التي عشتها مع تلك الكتب، وأسعى إلى تقديم كتب تسد فراغاً.. ولذلك أنجزت ترجمة: تاريخ الفلسفة الروسية، والفلسفة الالمانية الحديثة، والفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، والمذاهب الوجودية، والموسوعة الفلسفية المختصرة.

هل أنت معني بترجمة الأعمال الصعبة؟

- أحب ترجمة الأعمال الصعبة فعلاً، الصعوبة تشكل عندي حافزاً هاماً، ولهذا عندما اخترت الترجمة.. اخترت أنموذجاً مميزاً في الأدب.

مثل (الأمل) و(قدر الإنسان) لأندريه مالرو.. أليس كذلك..؟

- نعم.

ولهذا لم تترجم (أصوات الصمت) لأندريه مالرو، ذلك العمل الذي يدرس تاريخ الفن في العالم..؟

- هذا الكتاب يضم ثلاثة اجزاء هي :المتحف الخيالي، وسايكولوجية المطلق، وسايكولوجية الفن..

هل هذا ما جعلك تتناول كتاب مالرو هذا في كتابك المؤلف بعنوان: (أندريه مالرو – شاعر الغربة والنضال)؟

- نعم.. بكل تأكيد.

أنت تحب أعمال مالرو وقد ترجمتها بحساسية عميقة.. لذلك نلت عن ترجمة رواية (الأمل) جائزة الدولة التشجيعية عام 1969، كما نلت وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى عن ترجماتك عام 1970 – هذا حسب علمي – أليس كذلك؟

- نعم.. وأنا سعيد بأنك تعرف الشيء الكثير عن كتبي وتناقشني فيها..

شكراً.. أنا سعيد كذلك بلقائك..

محمد وليد المصري... في ذمة اللّه

بمزيد من الرضا والتسليم لأمر الله تعالى, انضم إلى قافلة الشرف والخلود في سورية الشهيد بإذن الله تعالى محمد وليد المصري رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب في حمص – سابقاً -.

وإذ ينعى اتحاد الكتاب العرب في الجمهورية العربية السورية الشهيد محمد وليد المصري, فإنه يعلن أن الراحل كان فرداً عزيزاً من أسرة الكتاب والأدباء التي يشكّلها اتحاد الكتاب العرب والتي فقدت منذ بداية الأحداث في سورية أخوة وأصدقاء انضموا إلى مواكب شهداء العزة والوفاء للوطن الحبيب.

أبواب متحف «فان غوخ» تُفتح من جديد

بعد عشرة أعوام من أعمال الترميم والتجديد افتتحت ملكة هولندا متحف (رييكز ميوزيوم) لاستقبال الزوار بحلّته الجديدة, التي تليق بما يُسمى (القرن الذهبي للفن الهولندي).

يحتوي المتحف, إضافة إلى مقتنياته التي تصل إلى ثمانية آلاف قطعة من تاريخ هولندا موزعة على ثمانين صالة, مجموعة كبيرة من لوحات الفنان العالمي فنسنت فان غوخ (1853-1890), وكان يستقبل قبل ترميمه مليون زائر في السنة, والمتوقع أن يتضاعف هذا العدد بعد الافتتاح الجديد ليصل إلى مليوني زائر سنوياً.

رسالة من أوسكار وايلد....

يعتبر أوسكار وايلد من أكثر الأدباء إثارة للجدل فقد كانت حياته، رغم من قصرها (1854- 1900)، سلسلة طويلة من الأحداث الغريبة غير الاعتيادية والسلوكيات التي تصل في بعض الأحيان إلى الانحراف، إلا أن ما تركه من إرث أدبي يشفع لـه... فقد أدمن الكتابة بأشكالها وأساليبها المختلفة, من المقالة والقصيدة إلى قصص الخيال والرواية والمسرحية، إلا أن حياته الغامضة الاستثنائية بقيت المسرحية الأهم التي يحاول الناس التنقيب عن بعض فصولها السرية حتى الآن.

فقد عُثر مؤخرا في بريطانيا على رسالة خطّها أوسكار وايلد، وبقيت حبيسة الجزء الخلفي من خزانة قديمة أكثر من قرن...

تضم الرسالة المكونة من 13 صفحة مجموعة من النصائح للأدباء الطموحين, تلخصت في عدم الاعتماد على الأعمال الأدبية في كسب الخبز اليومي وتقديم بعض التضحيات في سبيل الفن, وقد أكد فيها وايلد على أن الطموح هو الملاذ الأخير للفشل...

يذكر أنه تم بيع مجموعة من الرسائل الغرامية التي كان أوسكار وايلد قد تبادلها مع إحدى صديقاته عام 1880 بأكثر من 45 ألف جنيه استرليني.

نـدوة بعنوان: بنــاء سوريــة المتجــددة

اتحـاد الكتـاب العـرب ـ اتحـاد الصحفييـن السورييـن بالتعـاون مع وزارة الإعـلام .يتشرفون بدعوتكم لحضـور فعاليـات النـدوة الفكرية السياسية بعنوان:

بنــاء سوريــة المتجــددة

وذلك في تمام الساعة العاشرة من صباح يومي الأحد والاثنين 12 ـ 2013/5/13م

بقاعة المحاضرات في مكتبة الأسد الوطنية

الدعـوة عامة

اليوم الأول: الأحد 2013/5/12:

المحـور الأول : 10,00 ـ 12,00

دور الثقافة والإعلام في تجاوز الأزمة

يدير الجلسة: أ. الياس مراد

المشاركون في الندوة:

د. حسن سلمان: رئيس مجلس أمناء شبكة الإعلام في العراق

غسان الشامي: كاتب وإعلامي/ لبنان

أنيس النقاش: رئيس شبكة أمان/ لبنان

المحـور الثاني: 12,30 ـ 14,30

دور المنظمات الشعبية والنقابات المهنية في بناء المجتمع وتحصينه

يدير الجلسة: د. حسين جمعة

المشاركون في الندوة:

كوليت خـوري: المستشارة الأدبيـة للسيد رئيس الجمهورية

أ. محمد شعبان عزوز:رئيس اتحاد العمال

نزار اسكيف:نقيب المحامين

جيانا عيـد: ممثلة سورية

اليوم الثاني: الاثنين 2013/5/13

ـ الجلسة الثالثـة: 11,00 ـ 14,00

في ثقافـة الحـوار

يدير الجلسة: د. خلف المفتاح

المشاركون في الندوة

أحمد الأحمد :الأمين العام لحركة الاشتراكيين العرب

حنين نمر: الأمين العام للحزب الشيوعي السوري الموحد

أعادل نعيسة: عضو رئاسة الجبهة الشعبية للتغيير والتحرير

عمر أوسي:رئيس لجنة المصالحة الوطنية في مجلس الشعب

نصف قرن على صدور أول ترجمة أكاديمية لمعاني القرآن الكريم

منذ 50 سنة... صدرت ترجمة المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي (1883-1951) لمعاني القرآن الكريم وهي أول أول ترجمة أكاديمية دقيقة من العربية إلى الروسية بعد أن صدرت ترجمات عديدة من الفرنسية والانكليزية والفارسية والتركية.

صدرت الترجمة بطبعتها الأولى في عام 1963 أي بعد وفاة كراتشكوفسكي لتعاد طباعتها بعد ذلك 37 مرة وليصل عدد النسخ الصادرة عبر مختلف الطبعات إلى مليوني نسخة.

ترجمات كثيرة لمعاني القرآن الكريم إلى الروسية سبقت ترجمة كراتشكوفسكي وترجمات أخرى كثيرة تبعتها إلا أن غالبيتها تمت من لغات أخرى غير العربية.

آلهة الدموع
رواية أيوب الحجلي

في مشوار على طريق الإبداع الروائي يدون الشاب أيوب الحجلي (آلهة الدموع) روايته الأولى الصادرة هذا العام عن دار الحروف للطباعة والنشر والتوزيع.

يقول الشاعر فرحان الخطيب لعل الكاتب أيوب الحجلي من الجيل الشاب الذي قرأت في عينيه إصراراً لامعاً على إنجاز محطته الأولى في عالم الرواية «آلهة الدموع» الحاملة بين سطورها السمات الواخزة لشخوصها على مسرح حياتهم الاجتماعية فابتلت بتلات ورودها ببحر دموع الآلهة، وبدت شعاب الرحلة مليئة بالتعرجات المنهكة.

يسرع المرء في القراءة ليقترب أكثر من مصائر أبطالها التي تحاكي بصيغة من الصيغ مصائر حياتنا ولو بأوجه عدة ويتصاعد الألم الاجتماعي الجمعي إلىأن يضعك أيوب أمام نفسك كقارئ ومشارك في إعادة تشكيل عالم منحاز إلى النفس البشرية.

كل ذلك -يتابع الخطيب- محمول على متن قصة سردية متماسكة ترتاح مفرداتها في سياق الجملة دون تكلف أو عناء وهذا ما يشير إلى خطوة أولى في طريقة طويلة لا يحتاج الحجلي إلى الوصول إلى مبتغاه إلا إلى عين ثاقبة ونفس جموع ورهان على الذات على الفوز بالذات في ميدان أقل ما يقال فيه إنه معترك، معترك الأدب الجميل.

الرواية في 135 صفحة -

المراسلات:
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240
-فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله.
تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضـــاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفـــراد1000ل.س
-وزارات ومؤسسات1217ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو $120 -
للمؤسسات7000ل.س أو140$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق
ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu.sy
E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
ـ غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
ـ منضدة ومراجعة ومدقّقة مع مراعاة التشكيل حين اللـزوم، وعلامات الترقيم.
ـ لا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
ـ يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
ـ يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
ـ لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

المعرفة في إصدار جديد

صدر عن وزارة الثقافة السورية العدد 595 من مجلة المعرفة - نيسان 2013.

يتضمن العدد باقة منوعة من البحوث والدراسات والإبداعات الشعرية والقصصية والمقالات النقدية سيما فيما يتعلق بتعريب أدب الأطفال.

رواية جديدة لـ «موراكامي»

بعدما تصدرت أعمال الروائي الياباني (هاروكي موراكامي) قوائم الروايات الأفضل مبيعاً في العالم، وبعد ثلاثة أعوام من الانقطاع عن النشر، صدرت رواية (تسوكورو تازاكي الباهت وسنوات الترحال) التي طبع الناشر منها 600 ألف نسخة علّها تكفي عشّاق روايات (موراكامي) الذين احتشدوا عند منتصف الليل على باب مكتبة في طوكيو لتلقف الرواية الجديدة في أول لحظة من تداولها في الأسواق....

رُشّح (موراكامي) للفوز بجائزة نوبل للآداب عدة مرات في السنوات الماضية، وتدور الأقاويل عن احتمال فوزه بها في الدورة المقبلة.

يذكر أن (موراكامي) وُلد في مدينة كيوتو عام 1949، من رواياته:

اسمع صوت أغنية الريح ، كافكا على الشاطئ، الغابة النرويجية، سبوتنيك الحبيبة، رقص.. رقص... رقص.

مهرجان «ألم وأمل»

يدعو فرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب الأدباء الشباب (من غير أعضاء اتحاد الكتاب العرب) للمشاركة في المهرجان الأدبي الذي سيقام في أواخر نيسان 2013 بعنوان "ألم وأمل". فعلى من يرغب المشاركة التقدم بقصيدتين أو قصتين ليتم انتقاء واحدة منهما للمشاركة في المهرجان.

تقدم المشاركات إلى فرع دمشق- شارع مرشد خاطر- خلف معهد الباسل (اللاييك)- هاتف 4446700- 4446701.

فتح باب الترشيح لجائزتي (الإبداع العربي) و (أهم كتاب عربي)

أعلنت مؤسسة الفكر العربي عن فتح باب الترشيح لجائزة (الإبداع العربي) في دورتها السابعة لعام 2013 ضمن سبعة فروع هي: الإبداع العلمي والإبداع التقني والإبداع الاقتصادي والإبداع المجتمعي والإبداع الإعلامي والإبداع الأدبي والإبداع الفني، حيث يحصل الفائز في كل فرع على مكافأة قدرها 50 ألف دولار أمريكي، وتم الإعلان عن شروط الترشيح حيث يجب أن يكون المرشح عربياً فرداً كان أم مؤسسة, ولا تقبل الترشيحات المباشرة من الأفراد, ويفضّل أن لا يكون العمل المرشّح قد نال جائزة سابقة, وأن يكون مرتبطاً بقضايا التنمية وأهدافها, ويُفضل ما يقدمه الشباب من أعمال إبداعية.

كما أعلنت المؤسسة عن فتح باب الترشيح لجائزة (أهم كتاب عربي) في دورتها الرابعة لعام 2013 والبالغة قيمتها 100 ألف دولار أمريكي، حيث تقبل الأعمال من جميع مجالات الإبداع والمعرفة في كافة الحقول والتخصصات على أن تكون مؤلفة باللغة العربية لا معرَّبة، أما شروط الترشيح فهي أن يكون الكتاب المرشح قد صدر خلال عام 2012 لمؤلف يتمتع بجنسية إحدى الدول العربية, ومعيار الترشيح هو ما يمثله الكتاب من أهمية ومواكبة للتغيرات الحاصلة في العالم.

هذا وقد شكلت إدارة الجائزة لجان تحكيم متخصصة تضم نخبة من أعلام الفكر الاقتصادي والاجتماعي والثقافة والآداب والفنون والعلوم، وتقدم طلبات الترشيح لمؤسسة الفكر العربي في بيروت خلال موعد أقصاه 31 تموز 2013.

نتائج جائزة الشيخ زايد للكتاب

أعلن مجلس أمناء جائزة الشيخ زايد للكتاب في أبو ظبي عن نتائج الجائزة في دورتها الحالية لعام 2013 والتي تتضمن تسعة فروع، حيث منح شيخ الأزهر في مصر أحمد محمد الطيب جائزة شخصية العام 2013 الثقافية، وفازت إليزابيت سوزان كساب (لبنان) بجائزة التنمية وبناء الدولة عن كتابها (الفكر العربي المعاصر... دراسة في النقد الثقافي المقارن)، وحصل عادل حدجامي (المغرب) على جائزة المؤلف الشاب عن كتابه (فلسفة جيل دولوز في الوجود والاختلاف)، ومنحت جائزة الترجمة لفتحي المسكيني (تونس) عن ترجمته كتاب (الكينونة والزمان) للفيلسوف الألماني مارتن هيدغر، أما جائزة الفنون والدراسات النقدية فقد حصل عليها عبد الله ابراهيم (العراق) عن كتابه (التخيل التاريخي... السرد والامبراطورية والتجربة الاستعمارية)، وفازت الباحثة البريطانية مارينا وورنر بجائزة الشيخ زايد للثقافة العربية في اللغات الأخرى عن كتابها (السحر الأغرب وألف ليلة وليلة) بينما منحت جائزة النشر والتقنيات الثقافية للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دولة الكويت، وقد تقرر حجب الجائزة في فرعي (أدب الطفل والناشئة) و (جائزة الآداب) في هذه الدورة.

هذا وسيتم تكريم الفائزين في 28 نيسان الحالي على هامش فعاليات معرض أبو ظبي للكتاب في المركز الوطني للمعارض.

احتجاب الأسبوع الأدبي

تحتجب جريدة الأسبوع الأدبي يوم السبت 2013/5/11 بمناسبة أعياد العمال والفصح والشهداء.

وتعود إلى قرائها الكرام صباح السبت 2013/5/18.

وكل عام وأنتم بخير

عطلة اتحاد الكتاب العرب

بمناسبة أعياد العمال والفصح والشهداء يعطل اتحاد الكتاب العرب ابتداءً من يوم الأربعاء الواقع في 2013/5/1 حتى يوم الإثنين الواقع في 2013/5/6

وكل عام وأنتم بخير

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المدير المسؤول: د. حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: غسان كامل ونوس

مدير التحرير: عياد عيد

المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:
محمود حامد - د. أحمد علي محمد - نبيل نوفل - رياض طبرة

ليس آخراً

غسان كامل ونوس

الشهيد

ليس الأمر موتاً من أجل الموت، ولا كرهاً للعيش، أو كفراً بالنعمَيات، أو تبرّماً من شظف وشحّ، واستنكاراً لتصرفات، وتعطيلاً لإمكانيات، وتبديداً لطاقات..

وليس توسّلاً للآخرة طمعاً بملذاتها، ولا تسريعاً للقاء مع حورياتها، ولا تلبية دعوة للتشبّع بخمرها؛ فذلك أجر مجزٍ يرتجى لقاء عمل جليل، ومكافأة قيّمة على فعلٍ خيّر يرضي الخالق والمخلوق..

ولا تلذذاً بقتل الآخرين، أو التمثيل بهم، أو تغييب البسمة والأمان عن ملامحهم وأوقاتهم..

بل هو دفاع مشروع عن النفس التي تحبّ أن ترتاح وتنتشي، والكيان الذي يسعى إلى أن يغتني ويكتسي.. ودفاع عن الحقّ في استثمار العمر بكرامة واحترام، والحقّ في اختيار السبيل والزميل والخليل..

وإنه لسموٌّ بالسيرة والسمعة، وتكريمٌ للحياة المحدودة الأيام والسنين بالخلود النبيل..

وهو يعلم أن في التضحية خسارة تحول دون خسارات، وفي الفداء قيمة كبرى يستحقّها المفتدى، وفي الفقد حضوراً لمعانٍ عظيمة، وتحققاً لأمانٍ عزيزة، وامتداداً لظهورات ومكرمات، ونهوضاً لهمم، وانتصاباً لقامات وهامات؛ وهو يعلم أن هناك من سيبكيه، ويفتقده، ويحتاج إليه، وهناك من ينتظره، ولا من يسدّ مكانه؛ لأنه فلذة الكبد، أو الأب، أو رفيق الدرب، أو الشقيق، ولأنه المعيل أو العضد، أو المأمول. ولأنه قبل هذا، وبعد ذاك.. وفي أثناء كل ذلك، كائن مُرضٍ، يمضي في دربه الذي لا يجادل في صوابية سمتِهِ عاقل، ولا يُختلف على جدواه الراهنة واللاحقة، ولا يلوم على سلوكه منصف..

وليس الشهيد حاقداً، ولا ناقماً، ولا ناكراً، متنكراً، أو غادراً ماكراً.. ولا يدّعي أو ينافق، ولا يساوم أو يجامل، ولا يستكين أو يتخاذل، أو يهون!

إنه المدافع عن الأرض والعرض في مواجهة المعتدي الخارجي المتبصّر الذكي المتقدم علوماً وإنجازات، ومقاومة المخرّب الداخلي، الجاهل والإرهابي والمرتزق، والمكفِّر، والمحاسِب الأرضيّ على الانتماء والرأي والموقف..

هو الغادي إلى وظيفته، مدرسته، أو جامعته، حقله، أو مَشغله، أو نزهته.. أو القائم بواجبه الوطني والاجتماعي، والراجع إلى بيته..

الآمن – كان آمناً- في داره، أو حيّه، أو مدينته، أو قريته، أو مزرعته..

إنه العسكري، والمدني، المواطن السوري..

لعله الجامع المانع.. الشهيد: نبضُ الوقت، وسيّالة الكرامة، وتاج العطاء، وكوكبة القيم، وخلاصة المعنى..

نضارة النفس، وضراوة الإحساس، وضراعة المقهور، وسلاسة البوح، ونصاعة الرؤيا، وعذرية السريرة، وروحية الإسراء، وفروسية الريادة، وتوق البراعم.

الأضواء منهم، ولنا الانتثار، الزمان كله لهم، ولنا منه بعض أعمار وأقدار.. فنتابع البذل للبناء والتحرر من الهيمنة والاستغلال والقرصنة والفجور، والتخلص من الأدران والبثور والأوثان في النفس والجسد!

لولاك ما كان الجلاء، ولا البقاء تكلّل، ولا توثّب النماء، ولا تألق العطاء..

نتعجّل العودة، وتتعجّل الرحيل، نتعوّد التردد والتكاسل، وفي جبينك المهماز..

نتجرّع الألم، ونتكيّف ونتليّف، ومن لونك الترياق والبلسم .

تبترد مشاعرنا، فيشعلنا جرحك، تتقرّح شفاهنا بالصراخ، وتتعب أفكارنا في صوغ المصطلحات، وأيدينا في رفع الشعارات.. وصوتك الأمضى، وطيفك الراية؛ رائد في الميدان، وقائد في المسير، وومض في الأفق القائم، وانفتاح على الفضاءات، ورحابة لا تملّ، وسحابة لا تضلّ..

بك تتوحّد الغايات وتتحدّد السموت، وتتشامخ الفروع، وتتجوهر القلادات، وتتسارع النسوغ.. ومعك تتعمق الجذور، وتشرق الزهور، وترقص النسور، ويسعد الإيمان بحلة البرهان، ويمرح الأمان..

أنت فيض النعم، وتجدّد الهمم..

العابر للحدود والفواصل، الواصل بين العوالم، المترفّع عن السؤال، الغنيّ عن المغانم، الغائر المقيم، الراسخ المغير، الطيف والنداء والرجاء والخلاص.

●●●

ghassan.wannous@gmail.com
www.ghassan-wannous.com